

ربيع الأخوان: نحو الشعوية الإسلامية الجديدة

لسيرجيو بيانك



التطور السياسي الأخير لحركة المسلمين: نحو الشعبوية الإسلامية الجديدة؟

أ. المقدمة

1. يعتبر الإخوان المسلمون الظاهرة الأكثر أهمية في العالم الإسلامي المعاصر خاصة في العالم العربي ظاهرة نمت بطريقة مبالغ فيها في العقود الأخيرة، والتي تستعد الآن "لفقزة نوعية جديدة" تمكنها من إستقبال الفضاءات المفتوحة على إثر المُسمّاة "الربيع العربي".

عرفت حركت الإخوان المسلمين أهمية متزايدة خاصة في مرحلة محاربة الإرهاب القاعدي، التي بالمقارنة معها، إستطاع الإخوان المسلمون إبتكار تقنياتهم السياسية الخاصة بهم، النماذج المنظمة و الإيديولوجية، في خط مع تطورهم التاريخي الخاص، دائماً متذبذب ما بين إندماج في النظام و الثورة المناهضة للنظام.

كونهم ساهموا، بطريقة ما، في محاربة الإرهاب و التطرف الذين حدّده من خلال خصومهم السلفيين التقليديين، أعطى للإخوان المسلمين هالة من الشرعية طمحووا إليها منذ عقود. ذلك مكن من خلق تحالفات دولية جديدة، هي أساس عدّة أحداث حالية للسياسة الخارجية. في الأخير هذا العنصر ساعد أيضاً على تقوية مواقف الإصلاحيين داخل الأخوة، الذين أنتجوا، بدأً من الثمانينات إطاراً سردياً جديداً و إيديولوجياً. المثل الأكثر وضوحاً لهذا الإتجاه الجديد للإخوان المسلمين، هو لمسجد "فينشبيرى بارك" في لندن. في السنوات التي بنيت فيها على يد "أبو حمزة المصري"، أصبح مسجد "فينشبيرى" مسرحاً لإعتداءات إنتحارية و مركزاً للتجنيد من أجل المجازر الإرهابية التي توارز القاعدة. بعد إغلاقه و إعتقال "أبو حمزة" سنة ٢٠٠٤، النظام الإنجليزي، الذي لم يعرف كيف يتعامل مع وضعية المؤيدين للإمام الإرهابي في ذلك المكان، قرّر الإعتماد على (م.أ.ب) الجمعية المسلمة للإنجليز لإسترجاع المسجد و توليد سياق سوسيو - ديني جديد. من فبراير ٢٠٠٥، بفضل التعاون بين السلطات الإنجليزية و الجمعية المسلمة للإنجليز (م.أ.ب)، "فينشبيرى" أصبح مسجداً نموذجاً، مركزاً لأنشطة إجتماعية تجلب الآلاف من الأشخاص، إهتموا بدورهم بإبعاد مثيري الشغب المرتبطين بالإدارة القديمة. تعتبر الجمعية المسلمة للإنجليز واحدة من بين قطاعات التشغيل داخل المجرة المعقدة للإخوان المسلمين في المملكة المتحدة.

النموذج الإنجليزي يدعونا لطرح السؤال هل يمكن إعادة إنتاجه على نطاق أوسع و هل حركة الإخوان المسلمين يمكن أن تشكل حليفاً موثقاً به لمواجهة التطرف الجهادي و الإرهاب: هذا النموذج يطرح أيضاً مسألة شائكة إذا كان الإخوان المسلمون سوف يلعبون دوراً حكومياً في الترتيبات المستقبلية في الشرق الأوسط، هل يمكنهم أن يصبحوا شركاء لحكومات أوروبية؟

أحمد بن يوسف، واحد من بين الملهمين لحماس، يطرح المسألة من وجهة نظرهم: "متفقون سياسيون، بدون تمييز، يُجمعون الرأي حول إمكانية أن تكون الحركات الإسلامية هي السائدة.

يعتبر الغرب "حتمية ثقافية" بالنسبة للشرق و العكس صحيح. يمكننا أن نخدم أحسن هذا الواقع غير القابل للتغيير إذا تبلور داخل مبادئ توجيهية مبنية على مناقشة وديّة، لأعلى مواجهة قتالية¹.

المنافسة، التعاون أو الصراع هي خيارات تتطلب كلها تحليلاً حذراً لإمكانية تحديدها.

في هذا النص، لا يمكن إعطاء جواب محدّد لهاته الأسئلة، بسبب عدّة هوامش من الغموض لا تزال حاضرة داخل حركة الإخوان المسلمين و خاصةً بحكم مفهوم مختلف للديموقراطية للإخوة المسلمين مقارنة مع المفهوم الموحّد في الغرب، و مع ذلك، فهذه الوثيقة تدفعنا للتفكير في الفرص والأخطار لبناء علاقة حميمة مع حركة الإخوان المسلمين بارتباط مع التطوّرات السياسية في المنطقة و في الصراع ضدّ التطرّف.

2. كون الإخوان المسلمين لجؤاً بوضوح إلى إختيار الديموقراطية، نذبوا العنف سواء في الغرب أو في معظم البلدان العربية (لكن مع بعض الإستثناءات غير الثانوية) و كونهم تعاونوا لمقاومة القاعدة، جعلهم بدون شك موضوعاً جد قريب لعدد من صانعي القرار السياسيين، و المؤسسين الأوروبيين و الأمريكيين، الذين بدؤوا يبحثون، خاصةً ابتداءً من ٢٠٠١ عن مسلمين "معتدلين". بحث أصبح أكثر صعوبة بحيث أن الغرب يحتاج إلى نقاش حقيقي حول ما المقصود ب "إسلام معتدل".

هذا المنهج التقاربي لا يمكن أن لا يعني كون الإخوان المسلمين يمتلكون جدول أعمال جوهرياً مناهضاً للغرب، و في حالات أخرى كثيرة إتضح أنهم كانوا داعمين لذلك المزيج الثقافي الذي يمكن أن يؤدي إلى التطرّف أو حتى إلى الإرهاب. هذا ينطلق خاصةً في بعض الدّول الإسلامية مثل فلسطينو الشيشان، أو الكشمير، التي يدعم فيها الإخوان المسلمون بصراحة و لو بكثير من الفروق في التكتيكات دواعي الحركات الإسلامية المسلحة القتالية التي تنجز عمليّات إرهابية ضد الحكومات المعنية. و أيضاً حتى في بلدان أوروبية توجد دلائل بحث تضع شكوكاً جادة حول وجود معيار مزدوج لهم. و أخيراً هناك عامل يضيف مزيداً من الإرتباك و هو حقيقة أنه لا يزال غير واضح إلى أي حد عدّة أوجه للإيديولوجيات متعدّدة الثقافات و التي يطغى عليها طابع الهوية، و التي يعتبر الإخوان المسلمين من أكبر أنصارها في الغرب، لا يمكن أن تكون هي نفسها موصلاً للتطرّف، بإعتباره مركبة عزل طائفية و عرقية و أداة بناء لجيوب واقية ذات قيم غربية، و إذن أداة للإندماج الفعلي.

3. حتى في اللحظة التي كان فيها تهديد القاعدة في قمته، واضح أن مشكل إختيار التشكيلات الإسلامية المعتدلة لم يكن مطروحاً. عدّة مؤسّسات كانت عندهم حاجة ملحة لشركاء مسلمين يتخلو عن استعمال العنف و يببّدون إستعدادهم للحوار مع الغرب . بكل تأكيد ، في هذه المرحلة ، و بعد الهجمات على البرج التوأم، على محطة مدريد و على المحطة تحت الأرض في لندن، أصبح الإخوان المسلمين ينظر إليهم مثل الشر الهين "حتى أنهم أصبحوا صمام أمن نحو الإسلام المعتدل

¹ أ. بن يوسف، الاسلاميين والغرب: مواجهة ثم تحالف ، في إبراهيم أبو الربيع، القارئ العربي المعاصر للإسلام السياسي، لندن، 2010، ص169 .

من هنا تعاون الحكومات كتلك الإنجليزية أو الفتحات الفرنسية لـ "uof". لكن تكتيك " الشرهين" لا يمكن تعويض إستراتيجية الشراكة و الحوار الجاد ، الذي هو على العكس ضروري اليوم مع منظمة معقدة و منظمة تستعد للعب أدوار ذات أهمية كبرى في مستقبل العالم العربي الإسلامي.

في منظمة كهذه ، أصبح دور الطبقة المسلمة الجديدة الحاكمة ذات الأصول و الجنسية الأوروبية أكثر قوة ، و التي سوف تلعب فيه دائما بإصرار كبير، دورا في الثورات العربية و في هياكل الدولة المستقبلية في السيناريو الشرق أوسطي .

الآن أصبح الإخوان المسلمون في بلادنا يعملون علي تقييم هذه الأبعاد السياسية الملقنة في أقراص مضغوطة "ثورة الياسمين" عاملين على ما يسمى "تأثير إيجابي الجناح الراديكالي" لإقناع الشركاء العالميين بمصداقيتهم المستقبلية. هي عودة حركة ، ظاهرة إضافية للهجرة، التي لا تأخذ فيها بعين الاعتبار الأهمية. للنظر بعمق، هي أيضا مؤشر قوة لأوروبا ، التي من خلال هذه المسارات المتنوعة لرجوع الهجرة، تلعب أيضا دورا في الحوار الثقافي السياسي و حتي الديبلوماسية غير الرسمي في البحر الأبيض المتوسط.

4. بالنسبة للإخوان المسلمين ، هذا البعد المزوج ليس سهل التسيير . من جهة ليس من السهل ضم، الحد الأدنى من معايير القبولية السياسية ، التي تشكل بوجه من الأوجه ، جزءا من هذه الخلفية الوراثة الأوروبية. و من جهة أخرى، الكلمات التراتبية لمجتمع شرق أوسطي أكثر اختلافا عنا. أيضا على هذه الجبهة الأخرى، التي تحاك فيها لعبة الموافقة و النضال السياسي، على الإخوان المسلمين أن يتحدثوا إلى مجتمعات جد محافظة و في بعض الأحيان يعجزون عن الاعتراف بها و التي لا تتوافق فيها الركيزة الإسلامية، القبلية و العرقية مع جل المبادئ التي يجب أن يتعهدوا بها في حوارهم مع الغرب .

للحديث مع هذه المجتمعات الوطنية، التي ابتعدت منها الطبقات المسيرة للإخوان المسلمين المهاجرين في الخليج و أوروبا ، يحتاجون لوساطة الجمعيات و الطبقات المسيرة المحلية، الذين بقوا في الوطن أثناء شتاتهم، معانين من القمع، السجون، التعذيب، و مؤدين ثمنا غاليا من الدماء في مقاومتهم للديكتاتوريات.

تشكيل هاته الطبقتين لن تكون عملية سهلة و لا أتوماتيكية يمكن أن تؤدي إلي انشقاقات، كما جرى علي سبيل المثال داخل حركة حماس مفرقة بين القيادة الخارجية السورية لخالد مشعل و تلك الداخلية لهنية أو في الإشتباكات

بين قيادة حماس في فلسطين و الهوامش الخارجية في الأردن. هذا المظهر يمكن أن يصبح أكثر وضوحا في المرحلة الثورية الحالية في بلدان مثل ليبيا أو سوريا التي يمكن أن تكون فيها مساهمة القيادات في المنفى أكثر أهمية، كذلك مثل المسافة الثقافية بين المجموعتين. دائما كان المنفى واحدا من بين العوامل المؤدية لإنتشار الأخوة ، كما يعلمنا النموذج اللبناني أو تاريخ الحركات في تونس و الأردن. و مع ذلك، في هذه المرحلة الإنتقالية للربيع العربي ، لحد الآن و مرة أخرى عرف الإخوان المسلمون كيف يمتلكون الخزان المثالي لبحث و اقتراح حلول متوازنة ، لمنطق الوصاية

، منطلق اختاروه كشعار لتدرجهم لإدارة التغيير. اعتدال هو أيضا مؤشر لنوعية نخبهم السياسية و الروحية .

المخاض الحالي هو ثمرة شبه ناضجة لتغيير داخلي طويل، الذي من خلال مقاومته للهيمنة القومية و الإشتراكية، انتهاءا بالتباين ضد إرهاب القاعدة، و بعدها إلى انهيار الأنظمة العربية، يؤدي بهم إلى لعب دور محدد في عدة بلدان

إسلامية لأول مرة في التاريخ الإسلامي المعاصر، حركة سياسية غير دولية تلعب دورا جيوسياسيا عالميا في السيناريو العربي الإسلامي، من افريقيا إلى آسيا الوسطي مقارنة مع الفاعلين الدوليين للمنطقة، من تركيا إلى إيران ، إلى العربية السعودية ، حتي إلى أمريكا و أوروبا.

مع تقدم الجماعة الاسلامية في هذا الفضاء الجيوسياسي في منطقة حيث تركيا ممكن ان تلعب دور حاسمة- تلوح في الأفق تحالفات دولية جديدة². في هذا التحليل ، سوف نسعى لفهم الديناميات الأساسية التي يمكنها التأثير علي هذه العملية و ماهي المنافذ الممكنة لهم .

ب. الشعوبية الإسلامية الجديدة : فيديو التحكيم و النخبة :

5. انهيار الأنظمة الديكتاتورية العربية ، انهيار الأنظمة الإشتراكية و القومية العلمانية و أزمة القاعدة كظاهرة إرهابية و عسكرية ، أبانوا بشفافية ، و بأسلوب دائم أكثر وضوح ، ظواهر جديدة للإسلام السياسي ، ذو المعالم القديمة و العصرية في ذات الوقت.

حتى نستعمل عبارة من علم الاجتماع، يمكننا القول بأننا بصدد بديل، على سلم واسع ، من النخب السياسية في منطقة جيو-استراتيجية ، جد شاسعة. مجهزة بأساليب جديدة للسرد ، تستعد هذه النخب لإعطاء الحياة لأشكال تنظيمية دولية، التي سوف تغير في وقت وجيز الشرق القريب و الأوسط.

ظاهرة جديدة علي الإطلاق ، تقارن في بعض الأوجه بحسب ما وقع في الخمسينيات ، بمجئ الحركات البعثية و الناصرية . لهذا، تلك التحولات، دائما باسم الشعب الديمقراطية، كلفت عددا من الحروب لكل المنطقة و خسارة الهيمنة الأوروبية للشرق القريب و الأوسط، قبل تبلور الوضع الراهن الذي دام حتى وقتنا هذا إلى اليوم.

اليوم، أكثر هذه التحولات أهمية في صعود الشعوبية الإسلامية الجديدة، بمعنى اديولوجية مبنية على تمجيد الشعب، الذي له دلالة - الأمة - و المنظور إليه كحاوي لسلطة قديمة لشرعية سياسية و دينية ، التي تطمح له الطلائع الثورية. العلاقة بين رؤية الأمة ، للشعب الإسلامي ، و الطلائع هي ما يؤسس لمفهوم جديد للديمقراطية الذي يعمل فيه منذ عقود الإخوان المسلمون، مصلحين بعمق

²انظر أيضا أطروحة للإصلاح الإيراني صادق زيبكلام، و ذكرت في صحيفة الشرق اليومية (www.dailysharq.com) 3 ديسمبر 2011، وموقع الدبلوماسية الإيرانية (www.irdiplomacy.ir) 18 سبتمبر 2011.

أيضا العديد من الجوانب للفقهاء الإسلامي التقليدي ، زيادة علي عدة عناصر مؤسسة لأيدولوجية آبائهم المؤسسين ، بدءا بالبنا إلى سيد قطب ، من محمد الغزالي إلى سيد رمضان...

6. هذه الدينامية النموذجية للظواهر الشعبوية تقوت بفعل عدة عوامل محددة لبلدان في حالة تحولات ، جعلتها غادرة بشكل خاص، الأولى بسبب الميكانيزمات الديمقراطية ذات التمثيلية الفعلية في هذه البلدان التي لا تزال غير محددة، بسبب استمرار الديكتاتوريات القبلية، العائلية أو العسكرية التي تحتكر السلطة أزيد من 50 سنة. خاصة، أنه ليست هناك آليات لتفعيل توازن السلطة ، في الوقت الذي يصل فيه الزعماء السياسيين الجدد إلى غرفة التحكم، ما دامت لا توجد هناك سلطة قضائية فعلية مستقلة ، و توزيع السلط

غالبا ما يكون جنينيا، دون اعتبار جانب الولاء المؤسسي لأجهزة الأمن أو للطبقة الإدارية. ثانيا، طبيعة و بنية الدول العربية الحالية تقود لاتجاهات أو ليغارشية جديدة، بحكم أنهم متبنين على هياكل تنظيمية لها تلك الوظيفة المحددة لضمان نخب قبلية، عائلية، عسكرية أو دينية أنشأت بالفعل. لهذا، حدث كهذا للربيع العربي لا يمكن إلا أن يكون الحزن لباب دوار في اتجاه سلطة جماعات جديدة.

خلف هذه الزاوية، يلوح في الأفق خطر جديد. الفرق سوف يحسمه البعد الأيدولوجي، لأن الأطر الجديدة للإسلام السياسي هم حاملين لرؤية عالمية للمجتمع و حسب التوقعات، لا يمكن أن يكتفوا بإدارة القائمة.

إذا أردنا أن نعمل مقارنة مع تاريخنا ، نحن بصدد عملية تأميم للقوى العربية و الإسلامية مشابهة لتلك في أوروبا الثلاثينات التي ظهرت في غياب دول قوية.

و عن طريق عملية اجتماعية جد مرنة لأنها مرتبطة بمجتمعات مدنية شبه منعدمة ، مخنوقة بمنطقيات قبلية، و هياكل عائلية تقليدية و بإحساس جد ضعيف بالمسؤولية الفردية. هذه العملية لصعود طبقات جديدة حاكمة، حتي نستعمل تعبيرا لموسكو، ظهرت، بينما، في طريقه للتفعيل ، تحول ثان ذو طبيعة تكنولوجية متصلة بالمنصات الفضائية الجديدة. ملايين العرب سوف يقضون في الأشهر القليلة المقبلة ، سنوات من ثقافة تقليدية رجعية و جوهرية إقليمية شفووية، ذات أسس قوية إسلامية و تعبيري لمجتمع قبلي و أبوي خالية من الحريات السياسية ، بحريات سياسية لا تزال هشة، إلى عالم "ديمقراطية الجزيرة" عالم الأخبار فيه عالمية و عدة كلمات تراتبية و عدة وجوه معروفة يؤتى بهم و يفرقوا في السياسة من خلال سلطة وسائل الإعلام القضائية ، تعبيري في جزء كبير منه، حلبة ما بين تلفزة وسيلة تعبيري للطموحات المهيمنة و للقوة الناعمة لبلدان الخليج و القبائل المحلية، الذين يحاولون بهذه الطريقة الهيمنة علي الثورة حتي لا يسحقوا. في هذا المعني ، كانت ليبيا الأولى و خاصة أكبر مختبر التي أصبحت فيها الهواتف النقالة تغذي دائرة المعلومات الفضائية ، التي بدورها عملت بمذكرة خاصة ، كأداة للسياسات الخارجية للبلدان المعنية لإزالة القذافي من الحكم ، دولية، بهدف الإطاحة بنظام القذافي (الذي هو ديكتاتوري فريد من نوعه بالنسبة للمعايير الشرق أوسطية و الذي لم يكن أبدا محبوبا من الملكيات التيقراطية).

من يستطيع التعامل باحتياط مع هذه الأساليب الجديدة للشعبوية العربية، سوف يحظي بامتياز تنافس لربح المعركة المؤقتة للمرحلة الإنتقالية الجديدة. إن المعلقين و الدعاة في الفيديوها يمكنهم

أن يصبحوا مراجع ثقافية و سياسية جديدة للمجتمعات العربية دون المرور بالميكانيزمات المعقدة لاختيار الطبقات الحاكمة داخل الأحزاب. الصور الفضائية المشاهدة في نفس الوقت من طرف كل الدول العربية بإمكانها اليوم إلهاب قلوب عقول ملايين من الرجال ، الذين يحسون دائما أكثر بانتمائهم لشيء موحد، أمة عالمية، التي تظهر في مرحلة تحول في التاريخ، شبه وفاء لوعود قديمة

7. يعتبر الإخوان المسلمون القوة المجهزة في معظمها ، ايدولوجيا و تنظيميا، لإدارة هذه المرحلة من الإنتقال ، التي عرفت كيف تتصل بالتلفزيونات الفضائية و التي عرفت استغلال مختلف الفرص لتلك اللحظة و التي لها البعد الضروري العالمي للتحدث سواء إلى الجهة المتخلفة الأكثر محافظة للمجتمع الإسلامي أو الغرب . التفكير في العلاقة بين فيديو التحكيم و الديمقراطية هي، منذ وقت ، جزء من المقارنة الحرجة التي ، علي سبيل المثال ، بدأها رشيد غنوشي حول الأسباب العميقة للإمبريالية الغربية. الدول الغربية التي استعمرت العالم العربي في العصر الحديث هي كلها ديمقراطيات لهذا يتساءل غنوشي ، كيف

يعقل أن تصبح الديمقراطية هي حلنا؟ الجواب علي هذا السؤال يمكن أن يعطي من خلال نقص الديمقراطية الغربية ، التي بداخلها أقلية ذات مصالح سياسية ، اقتصادية و إعلامية يمكنها أن تعطي الحياة للوبي يتلاعب بمصير الشعب . الديمقراطية الحقيقية ، تلك الإسلامية، المؤسسة على "الخلافة" أي على الطبيعة المسلمة للشخص في أصلته المفترضة يمكنها أن تكون الوصفة الحقيقية التي بإمكانها تنفيذ شكل جديد لديمقراطية حقيقية . ما يميز الإصلاح الجديد للإخوان المسلمين ، الذي ظهر ابتداء من الثمانينات هي ايدولوجية مشكلة على الشعوبية، حيث أنها مبنية علي باطنية الشعب المسلم "القوة المتجاهلة" كما حددها "البناء" مؤسسها. هذا الشكل من الشعوبية الرومانسية تدور حول محاولة تقليد المجتمع الأصلي في عهد محمد(ص) ساعيا إلي تكيفها مع فترة الجزيرة و وضع مفهوم جديد للديمقراطية الإسلامية مبنية على "الرجل الجديد" حركتهم كانت موجهة في اتجاه محاولة الوصول إلي مصادر عميقة مفترضة قديمة للشرعية السياسية ، لكن داخل إطار ايدولوجية حديثة ، التي تعلن التفوق الأخلاقي للإسلام علي الغرب ، أيضا أين يقترح برمجيا التعاون . تلك للإخوان المسلمين ، تبقى ايدولوجية شمولية تستثمر أي مجال للوجود ، و تعد بطل سعيد للفرد أكثر منه للمجتمع أو الدولة . ايدولوجية ، التي في أشكالها الأكثر جدة، تلك الرجعية ، منذ الخمسينيات ، عرف كيف يمتلك التقنية الغربية ، عازلا إياها من المظاهر الأخلاقية لغرب يعتبر مصدرا لكل الشرور و تخلفات العالم العربي الإسلامي .

من هنا اهتمامهم الكبير بكل مظاهر الحداثة ، من التلفزيونات الفضائية على الأنترنت. ذلك هو برنامجهم ، مكون من كلمات حديثة : ديمقراطية، مبادئ دستورية ، حقوق إنسانية . برنامج بواسطته يعمل الجهاز ، أسلوب منظم جد مرن ، منوع و قابل للتكيف ،من خلاله يحاول الإخوان المسلمون امتلاك موافقة و كسب تحالف ، في منطق شامل ليس له نماذج أخرى في التاريخ السياسي للإسلام الحديث .

لكن هذا الإطار له أيضا وجه آخر، حضي بقدر قليل من المناقشة من طرف مثقفي الإخوة، هذه الرؤية الجديدة "لديمقراطية الإسلامية" ثمرة اجتهادهم، الحداثية ، تميل لخلق كسور بين حركة روحانية و سياسية ، تقريبا السياسة أصبحت انحدارا ثانويا لحركتهم الدينية و الروحية . خاصة تميل إلى أن تترك في الظل موضوع بناء الدولة الحديثة و الأمة ، يتميز المجتمع المدني المسلم و

الأمة ، أي للقومية الإنتقالية العربية ، التي ولدت عدة صراعات في مراحل الثورات الإشتراكية . ذلك أدى إلى خلق تناقضات و كسور عميقة كما سوف نلاحظ . و هذه أيضا هي النقطة الأكثر ضعفا للإخوان المسلمين ، بشرط أن يكون هذا البرنامج بالفعل يجعلهم غير قادرين علي المساءلة السياسية الحديثة ، لإعطاء أجوبة على تعقد السلطة لبلد حديث ، بحيث ينقصهم ، على الجانب العملي ، خريطة طريق لتنظيم الدولة و لعلاقته بالأمة و مع الموضوعات الكبيرة للجنسية . و هو بالضبط مشكل الشعبويين ، الذي غالبا ما يفشلون في جانب المساءلة السياسية عندما يجب عليهم المرور من فيديو التحكيم إلى الممارسة من المعارضة إلى الحكومة .

إدارة السلطة . أين و متي يصلوننا ، و هو ما فشل فيه إلي حد الآن الإخوان المسلمون ، و المفترض ، سوف يستمرون في الفشل فيه إذا لم يعرفوا كيف يعملون مزيدا من الخطوات الإصلاحية ، التي باتجاهها توجد على كل حال إشارات مشجعة .

في هذا المنظور أهمية و خصوصية الإخوان المسلمين تنحدر من عدة عوامل .

هنا و كنتيجة ، تُدرج ثلاثة ، التي ستساعدنا لفهم الدور الذي سوف يلعبونه في الشرق الأوسط القريب ، والجديد ، قوتهم وضعهم الجوهري .

محللين لهذه العوامل الثلاثة ، نوجد أيضا بصدد بعض أساطير السياسية و التعاون الغربي الذين يستحقون أن يُنظرُ إليهم خاصة علي ضوء الحاضر المجدد و الآفاق السياسية التي يعمل الإخوان المسلمين على إدخالها على مشهد الشرق الأوسط و القريب .

ج- عامل البرنامج : الثقافة باعتبارها رابطاً

8. العنصر الأول للتوضيح هو البعد الثقافي للإخوان المسلمين. الحركة في مصطلحات عامة ، تتجدر إيديولوجيا في المسمى ظاهرة الإصلاح الإسلامي ، التي عرفت في النهضة العربية ، بين آخر 1800 والعشرينيات ، الحد الأقصى للتعبير الثقافي . الإخوان المسلمون هم إذن، جزء من ذلك العالم الإصلاحى التاسع الذي من القرن السادس عشر و ما بعد ، بدأ يعارض ما يُسمون بالتقليديين، إلى إسلام "المتحف" ، كما كتب العنوشي . هذه المصنوفة يجب أن تُذكر إلى الكل ، بما فيهم أعضاء استخبارات المجتمع ، الذين، ربما ببساطة كبيرة ، غالبا ما يضموا الإخوان المسلمين إلى ظواهر سلفية أو إلى حركات أخرى كالوهابيين . أيضا بين المثقفين المسلمين ليست الإختلافات تكون واضحة. يسود عموما الإعداد التخطيطي ، المبني علي الإختلافات في الأهداف

و البرامج ، زيادة على الطريقة التشغيلية . مثلا، فتحي يكن ، الذي كان حتى مماته في 2009 إيديولوجيا من وجهة نظر الحركة اللبنانية ، يقسم الإصلاح الحالي ما بين التبليغي ، الذين هم جماعة من المصلين و بعثة من المتجولين ، ممثلي حزب التطهير ، الذين يترددون في حسم العملية السياسية فقط بعد إنشاء الخلافة السياسية ، و الإخوان المسلمين الذين يُعرفهم ك "حركة ثقافية... حركة تربية... و روحية... حركة الجهاد بشرط أن تعمل حملة للإستعداد للجهاد بكل

وسيلة ذلك لأن الحقيقة يجب أن تكون لديها القوة لتحمي نفسها حتي يستطيع العملة التبشيري مواجهة التحديات و تجاوز المشاكل"³.

في الحقيقة بالرغم من كونهم لا ينكروا حلفاء تاريخيون أو تكتيكيون ، و حتى بعض المراجع الثقافية المسرودة للسلفية و الإخوان المسلمين ، التقليديين و الحداثيين ، لديهم تاريخان ثقافيين ، مصفوفات و توجهات مختلفة إطلاقا ، متباينة في عدة جوانب . يعتبر الإخوان المسلمين حركة ذات أسس ثورية على غرار نموذج الثورة المحافظة الألمانية ، بينما السلفيون هم حركة ذات أسس محافظة، كما هو حال الواهبيين في العربية السعودية ، الذين يدعمون السلطة دائما حسب أنماط جد معروفة عند الطبقة التقليدية "للعلماء" زيادة علي ذلك ، الإخوان المسلمون، كما سوف نشاهد بعد قليل تحت ، علي خلاف الحركات الإصلاحية المعاصرة الأخرى ، يتميزون بجاذبية ثابتة اتجاه العمل ، بمحاولة دائمة لتحويل السياسة عبر ممارسات ملموسة و أيضا تحويل مبادئهم الدينية . الغنوشي يذكرنا بالفعل كيف أن "الإسلام وُجد قبل الحركة الإسلامية الحالية ، لكن تمّ التفكير فيه كتهيئ أو استعداد للجنة ، ليس كنظام لتزوير المجتمع"⁴. ذاك هو اليوم ، السبب الرئيسي لإصلاح الإخوان المسلمين.

فهم هذه المصفوفة الثقافية جد مهم . من خلال هذا التكوين التجديدي بالفعل يطور الإخوان المسلمون على صعيد عالي ، أشكالاً مختلفة من الاجتهاد ، أي تقنية تقليدية للحق الإسلامي التي ، حسب تفسيرهم الحداثي تسمح بدرجة عالية من المرونة و التكيف في ترجمة سواء الشريعة أو للقرآن نفسه و للسنة .

حبيب كمال، واحد من مُنظري الحركة الفلسطينية يعبر عن مواقف ربما تجاوزت تلك للإخوان المسلمين في ما يتعلق بحرية التفسير : "ذلك يمكن أن يفسر فقط محررين المنهجيات المستعملة في مسائل حاسمة تتعلق بالإيمان و الموافقة (بمعنى الإجماع) ، قانوني من جانب ، من المسائل المتصلة بالواقع و بالاجتهاد ، من جانب آخر ، بطريقة لا ندخل فيها مسائل الإيمان داخل الحياة اليومية ، التي تسقط تحت مظلة الاجتهاد[...]. الفهم الصحيح للشريعة و للفقهاء من طرف الحركة الإسلامية هو مفتاح لفهم نظرية تعالج المسائل الصعبة و المعقدة للواقع الحالي . ذلك شئ ممكن من خلال تمييز منهجي للشريعة ما بين قضايا إيمان و قيم غير قابلة للتغيير ، من جانب ، و قضايا متغيرة للواقع تمثل للاجتهاد من جانب آخر. الإسلام لا يعرف نهاية للتاريخ، لكن يؤمن بالجدلية اللامتناهية بين الإنسان و الواقع"⁵.

باصطلاحات أكثر أوثودوسية ، يمكننا القول بأن المقدمة و التسطير علي المفاهيم القانونية مثل تلك ذات "المصلحة العامة" و "أرض الدعوة" أو إعادة قراءة مفاهيم مثل "التوحيد" و "الخلافة" التي بالرغم من كونها عناصر تقليدية للتفكير القانوني الإسلامي ، هنا يكتسبون وزنا و معنأ جديداً غير جوهريا للتفكير اللاهوتي – السياسي للإخوان المسلمين بالمقارنة سواء مع السلفيين أو التأسيس الديني الإسلامي المؤسسي . هذا العنصر غير الملموس هو الذي يسمح للإخوان المسلمين

³ فتحي يكن، الحركة الإسلامية : مشاكل ووجهات نظر ، في إبراهيم أبو الربيع، القارئ العربي المعاصر للإسلام السياسي، لندن، 2010 ص 17

⁴ رشيد الغنوشي، الحركة الإسلامية : النقد الذاتي و إعادة النظر ، في إبراهيم أبو الربيع، القارئ العربي المعاصر للإسلام السياسي ، لندن، ص130

⁵ كمال حبيب، الحركة الإسلامية : وجهة نظر الحركات الإسلامية من الشريعة ، في إبراهيم أبو الربيع، القارئ العربي المعاصر للإسلام السياسي، لندن، ص 178.

بإنجاز الإنتقال في اتجاه النظام السياسي دون إتلاف مبادئهم الإسلامية ، خالقين فصلاً بين بعد النضال الديمقراطي ، السياسي من جهة، و الأكثر حميمة ، دينية من جهة أخرى .

هذه العناصر تعمل كدافع للمجرة المتنوعة للإصلاح الإسلامي المعاصر، بالتأكيد ليس فقط للإخوان المسلمين ، حتي ولو أنه داخل الإخوة ، مستوى المرونة بارز بحدّة بالمقارنة مع أي حركة معاصرة أخرى. هذه الصفات سمحت بتطور انعكاس ثقافي جد معقد ما بين الثمانينيات و التسعينيات في الوقت الذي تشكلت فيه الأساليب السياسية الجديدة للسرد ، و التي أسست للعمل الحالي للحركة . بالفعل ، بعد الثمانينيات ، خرجت للوجود

داخل مختلف الحركات التي تشكل هجرة الإخوة العالمية ، طبقة جديدة من المثقفين و المسيرين الذين ينتجون تحولاً إصلاحياً. يعتبرون الجيل الثالث، بعد جيل الآباء المؤسسين بعد حسن البناء، سيد قطب و مودودي و بعد جيل مفسريهم الذين عرفوهم مباشرة كعبد القادر عود ، سعيد رمضان و محمد الغزالي. هو جيل ترعرع في الهزيمة. جيل إختار أن لا يقتاد داخل دوامة الكراهية و الإرهاب ، و الذي لهذا رفض سواء إختيارات المثقفين كعبد الله عزام ، عمر عبد الرحمان و أيمن الظواهري ، لكن أيضا استراتيجيات المصلحين العنيفين مثل سامي العريان و عبد الله شلاه ، منظري الجهاد الإسلامي الفلسطيني . الذين للإخوان المسلمين معهم قنوات الحوار على أية حال. المصلحين الحاليين انحازوا قطعاً ضد الإرهاب على الأقل في أغلبية مكوناته . و أخيراً هم جيل ترعرع بدرجة جد عالية للتعرض للغرب و للعولمة الثقافية و لذلك لم يستطع الإكتفاء و لا حتى بالحلول المقترحة من طرف المفسرين الشرفاء لفكر الآباء المؤسسين كمحمد غزالي (1996-1917) سجناء لتاريخهم. هذا الإتجاه الجديد مُجسّد من طرف مفكرين، ناشطين و سياسيين كالإقتصادي و الوزير السابق الباكستاني خو رشيد أحمد ، من زعيم الحزب التونسي ”النهضة“ رشيد الغنوشي، من يوسف القرضاوي الذي يساهم في إصلاح عدة أوجه لحق الأقليات المسلمة في الغرب ، من الزعيم اللبناني لجبهة الحركة الإسلامية فتحي يكن، من الماركسي السابق الذي غير انتماءه منير شفيق ، الذي انتقد بحدّة إختيارات ال OLP التي انتمى إليها لسنوات ، من المثقف المغربي أحمد الغيسوني ، من السوري علي صدر الدين البيونوني ، من الجزائري ناه ناه زعيم لحماس الجزائري ، و أخيراً ، المفكر الأوروبي ذو الشأن الكبير طارق رمضان .إلي جانب هؤلاء ، عدد من الأكاديميين ، مثقفين و تقنيين ، نهاية من الحيات ، كعبد الوهاب المصري الذين يتناوبون حول المؤسسات الكبرى للبحث للإخوة في الغرب و الشرق ، بدءاً ب ”المعهد الدولي للفكر الإسلامي“ ، التفكير الحقيقي للحركة، التي كان يترأسها إسماعيل الفاروقي ، أكاديمي مقرب للإخوة الذي حاول في الأول حتى مماته العنيف سنة 1986 ، صيغاً بدائية لحوار ديني داخلي لمواقف إسلامية . أسماء غالباً ما تملئ فضاءات الجزيرة و العربية التي من خلالها يتحدثون إلى ملايين المسلمين و مواطني العالم .

العناصر ذات الأهمية الكبرى التي يقدمها هذا النقاش العشريني داخل إصلاح الإخوان المسلمين هي إثنين :

1- اعتبر منظرو الإخوة أن الديمقراطية دائماً كانت ثمرة الإمبريالية الغربية ، مناقضة للنظريات التقليدية للحكم للإسلام التقليدي . هذه الفكرة ، الموجودة أيضا في معظم كتاب الجيل الأول و الثاني للأخوة ، تستمر في الحركات السلفية و في تلك الإرهابية لشبكة القاعدة. في نهاية الثمانينات

، إصلاح الجيل الثالث أحدثوا قطيعة مع هذا المخطط الثقافي. ”عدة إسلاميين يقارنون الديمقراطية بالتدخل الأجنبي و الكفر. لكن الديمقراطية هي مجموعة آليات لضمان حرية الفكر و لجمع المنافسة المسالمة من خلال انتخابات، لسلطة الحكم . (...) ليست لدينا تجارب حديثة في المجال الإسلامي باستطاعتها استبدال أو (تعويض) الديمقراطية . أسلمة الديمقراطية هي المسألة الجد قريبة لتطبيق الشريعة ، المبدأ الإسلامي للتشاور . مَنْ رفضوه لم ينتجوا شيئاً آخر سوى نظام الحزب الواحد . مَنْ يكسب وراء الديمقراطية هم المسلمون . عليهم أن يكونوا من أقوى داعميه. المسلمون يستطيعون الوصول إلى الحكم كلما أتحت الفرصة للانتخابات حرة . في هذه المرحلة هم أقلية و هم مَنْ لهم مشاكل مع الديمقراطية.“⁶

زعيم الحركة الجزائرية حماس (دون خلطها بالإسم الفلسطيني) صاغ لفظاً عربياً جديداً لوصف هذه الرؤية الجديدة للديمقراطية الإسلامية: «الشوراقراطية» أي شكل من الحكم يعرف كيف يوفق بين التصور الإسلامي للديمقراطية ، المبنية علي التشاور و المعارضة لتلك تطغى فيها تمركزات السلطة و الإستبداد . في هذه الرؤية الجديدة للديمقراطية الإسلامية ، الشعب باعتباره ”الأمة“، يظهر كمالك لسلطة شرعية تذهب خارج منق الأغلبيّة. هذا هو الحامل لقيم جوهرية للطبيعة الإسلامية الخاصة به .

2- نهج مختلف للغرب ، الذي ليس هو فقط ”الشیطان الكبير“ للصحافة التقليدية لكتابات قطب و أتباعه . المثقفون الجدد، أمثال أحمد بن يوسف ، يتساءلون من أو ماذا يقوض إمكانيات الإعراف المتبادل و التعايش بين الإسلام و الغرب؟ داخل كل فاعلي الإصلاح المعاصر ، يبقى هناك سوء فهم جوهرى للطبيعة العميقة للغرب للإيمان الذي يسكنه و لجذوره الروحية العميقة . تبقى الصعوبة القصوى للتوفيق بين المعاملات الخاصة و العلاقات الإجتماعية و العائلية علي ضوء ثقافة غربية مبنية علي حرية اختيار الأشخاص . تبقى الصعوبة في فهم طرق العلاقة بين الدولة و الدين ، خاصة علي ضوء المعطى بأن التجربة الدينية الغربية هي أولاً و خاصة مبنية علي الإلتقاء الحى بين الإنسان و الإله و ليست مبنية علي قانون مكتوب مفترض أنه لا يتغير و مع ذلك ، كل هذه العناصر الحاسمة التي ما زالت حاضرة ، يوجد شك بأن إصلاحى الأخوة يقومون بمحاولة فعليه لحوار جديد مع الغرب .

هذا النهج الإيديولوجي هو أيضا ما طبع عدة أشكال للمنظمات. النموذج ربما الأكثر أهمية أعطته لنا الأنظمة البنكية الإسلامية. وهو ثمرة لتوافق بين البلدان الغنية للخليج، التي عرفت في السبعينيات تضخم ثروات مالية كبيرة، والطبقة الدينية، هي التي كانت تعطي الأدوات القانونية لتجنب القواعد الصارمة للشريعة عندما يتعلق المر بالمصالح. عائذات النفط والدين حتى يستطيعوا الإلتقاء، كان لا بد لهم من وسيط. هذا الوسيط مُنح لهم بالفعل عن طريق مرونة الاجتهاد الإصلاحى، الذي عرف يبنى سلسلة من النماذج المفترض فيها أنها مساهمة لتجنب المحرمات القرآنية وقبول القواعد البنكية والدخل المالى داخل نظام إسلامي. نتيجة هذا التحالف، الذي تحول من أفكار إلى ممارسة، نذكر على سبيل المثال البنك الإسلامى الأردنى، الذي عرف النور نهاية السبعينيات. المساهمة الكبرى لهذا المشروع المالى وفرها مثقف دينى مثل سامى

⁶ رشيد الغنوشي، في إبراهيم أبو الربيع، القارئ العربى المعاصر للإسلام السياسى، لندن، 2010، ص133

محمود، الذي أنجز أطروحته الجامعية سنة 1976 حول هذه المادة، كاشفا أسس القانون المالي الإسلامي على ضوء الاجتهاد التجديدي.

النظام البنكي الأردني لتلك الفترة كان قد حاول معارضة ازدياد هذه الأبنك الإسلامية، لكن جماعة الإخوان المسلمين قبلت المبادرة ووفرت لسامي محمود بعض الأدوات المفاتيح هي نفسها، لتحمل على بر الأمان مشروعها وتغيير القانون الأردني : قبل كل شيء، منبر عمومي لبرنامج تلفزيوني للشيخ الكيلاني، واحد من زعماء الأخوة (قيديوقراطية). ثم اللوبي الوزاري للجماعة السياسية للإخوان المسلمين حول كامل الشريف، وزير المؤسسات الدينية (الطريق السياسي). في الأخير، العلاقات الدولية بفضل دعم الأمير السعودي محمد الفيصل (القدرة على صنع تحالفات). هذا المخطط للبنك الأردني سوف يبقى كنموذج لعدة مبادرات مالية أخرى للإخوان المسلمين.

أيضا في الغرب وفي دراساته العميقة يصف لنا جيدا العلاقة بين الإيديولوجيا ومنظمات الإخوان المسلمين.

ودائما بفضل هذا الشكل الحداثي للاجتهاد، توصل عدد من زعماء الإخوان المسلمين إلى تطوير نماذج من الالتقاء بين الديمقراطية والإسلام، التي بدءا من الغنوشي والقرضاوي، اتخذوا وظيفة براغماتية، خاصة بعد الحادي عشر من شتنبر. إعادة النماذج السياسية التقليدية الإسلامية التي هي مبنية بطبيعة الحال على الخلافة، على اسس ديمقراطية جديدة، يعني إعادة التفكير في جزء كبير من التاريخ الإسلامي على ضوء فئات جديدة. هذا بالذات هو الفرق الكبير، على سبيل المثال، بين الإخوان المسلمين وحركات مثل حزب التطهير أو حركات سلفية وصوفية، التي كانت لأمد طويل منافسة للإخوان المسلمين في المسرح الإسلامي. لم يستطع أحد من هؤلاء الأخيرين اعتماد بعد الإخوان لأن لا أحد يمتلك الموارد الثقافية المناسبة لمواجهة الحداثة وصنع تحالفات دون تحيزات.

التجديد الحقيقي للإخوان المسلمين يتجلى في تصور الإسلام كنظام شامل، باللعب على الفلسفات التقليدية للتوحيد، لكن داخل إطار نظام مرن، قادر على التكيف مع عدة أوجه من الحداثة.

في الحقيقة، هذه الفكرة لدين أصبح أيضا برنامج تسيير للمجتمع والدولة، والذي لذلك، يمضي على أقدام رجال ومجتمع جديد، هو تجديد للإصلاح الإسلامي للقرن العشرين، والتي يعتبر الإخوان المسلمون نتيجتها الرئيسية. مع الإخوان المسلمين أصبح الدين معطى جيدا في التاريخ المعاصر للبلدان الإسلامية، تقريبا رجوع إلى سيناريو القرون الوسطى، عندما كان مختلف الدعاة الدينيين، بكل تفسيراتهم الطائفية، يعبؤون الطريق للنضال من أجل السلطة الخلافة. لهذا كان هؤلاء المبشرون ثوريين حقيقيين في ذلك الوقت، قادرين على معارضة الأنظمة، التحدث مع الشعب وحك مؤامرات قاتلة ولكن أيضا التحالف مع السلطة، حسب الظروف.

استرجاع هذه الروح الثورية وتلك المرونة الكبيرة هم اليوم الأساليب الحاملة لإيديولوجية الإخوان. في نفس الوقت، داخل هذا السرد للتوحيد يختبئ الجانب المظلم للإخوان المسلمين، مع رؤية مدققة للتاريخ وتحليل سوسيو- لاهوتي مبسط حول المعاصرة. التخلي عن الإسلام، مبادئه، طرقة عبادته، يمكن أن يكون هو ما أدى إلى سقوط الخلافة والأزمة المعاصرة في العالم العربي الإسلامي. لذلك إعادة جمع الوحدة، التوحيد، هو واجب هذه الطليعة الجديدة، قادرة على إعادة ربط الشعب المسلم الممتلى بالإيمان هو مع ذلك قوة متجاهلة، مع البناء، الإسلام الحقيقي. ها هي

الطبيعة الأولية للشعبوية الإسلامية : الأسطورة الرومانسية للشعب، الذي تركز عليه الديمقراطية الإسلامية الجديدة. الاتصال بالشعب، إيقاظه هو ما ترمي إليه عملية الإخوان المسلمين، متصورين (وخاطئين) أنه يوجد انسجام بين هذه الروح العميقة والوحي الإلهي "الإيداع".

داخل هذه الرؤية للتاريخ، التي هي قلب تفكير الإخوان المسلمين، هناك عنصران لضعف كبير للفكر السياسي للإخوان المسلمين : عدم القدرة على عزل الدولة عن الدين من جهة، ومن جهة أخرى، نقد جذري وشبه لاهوتي للغرب، الذي يعتبر فاسدا أخلاقيا. يوجد هناك أيضا عنصرا ثالثا، الذي عادة ما يظهر بعد أذ السلطة. والذي هو المواجهة القاسية مع الواقع عندما يبدأ الشعب، الذي يعتقد بأنه مُودِع الروح الإسلامية، بالمطالبة بالحرية واقتراح أفكار مخالفة للمبادئ القرآنية. في هذه المراحل، إذن تتحول الحركة الإسلامية إلى ديكتاتورية، الطليعة تصبح مربية، مستعملة أدوات الدولة.

ربما داخل هذه العناصر يكمن المستوى المنخفض للمساءلة السياسية الذي يميز الإخوان المسلمين عندما يتسلمون مسؤولية الحكم.

هذا البعد هو بكل تأكيد قوة نموذج الإخوان المسلمين في المرحلة التي يجب أن يصعدا فيها إلى الحكم، يجب عليهم أن يتجذروا داخل المجتمع. لكن هو أيضا ضعفهم الجوهري وقت الحكم، لأن المرحلة البنائية، كيف يتم المرور من مجتمع جاهلية إلى مجتمع تحكمه الشريعة، وتحكمه قوانين إلهية، التي هي المرادة من الشعب، ومتروقة لعملية تطهير غير متنبا بها، سياسية وثقافية للدولة من أي تأثير غربي، حتى يتسنى للروح العميقة للشعب الإسلامي أن تعبر عن نفسها. أسطورة الشعب، التي تظهر من جديد في ليبيا، لها جذور عميقة ويمكن أن تكون جد خطيرة، لأنها يمكن أن تؤدي على شعوبية إسلامية جديدة، ذات أشكال قصوى من القومية المناهضة للغرب ولدكتاتوريات ذات طابع شعوبي.

الخطر بالنسبة للإخوان المسلمين ليس هو انعدام الديمقراطية، بل هو نجاحه، مرحلة الشعبوية، كما عدة يمين أوروبي ظهر في عدة مراحل تاريخية أخرى. الخطر هو أن وراء زاوية هذه الرؤية الرومانسية الجديدة بالشكل الإسلامي للسياسة هناك نماذج شعوبية مُقترنة بأشكال من القومية الإسلامية، مثل النموذج الإيراني أو الأسود من ذلك "غزة عالمية"، التي في أي حال من الأحوال هناك من سوف يعرف بالتأكيد يستثمر جيش البشير، معيدا بذلك نماذج جد معروفة.

هذه الملاحظة تضطرنا لبعض التخمينات حول بعض الأوجه للمذاهب السياسية الغربية في المنطقة. الأول من هؤلاء هو "مذهب شارانسكي"، الذي ميز الإدارة الأمريكية في عهد بوش والذي أسس أيضا الإدارات الحالية لأوباما. هي الفكرة التي بحسبها انتشار الديمقراطية، شبه أوتوماتيكيا، قد يفتح آفاقا لأنظمة حكومة معاصرة ويوقف الأصولية والتطرف. العملية السياسية لشرانسكي في إسرائيل هي الدليل بأن مذهبا سياسيا كهذا يكون غير واقعي إذا طُبِقَ على واقع كفلسطين : الديمقراطية الفلسطينية يمكن أن تنتج حماس.

كما رأينا حتى الساعة، الإجراءات الديمقراطية، في الشرق والغرب. تغيير الديمقراطية، التي هي طريقة وظيفية وحديثة لاختيار النخب على أسس معيار الأغلبية، في شيء ليس هو، أي مذهب للدولة، هو أمر في غاية الخطورة.

إن آليات العمل الديمقراطي، وخاصة مبدأ شخص، صوت، الديمقراطية يمكن أن توصل للسلطة هتار، حركات استبدادية، كما حدث في الماضي عندما كان نظام الضوابط والموازن ليس مقسما جدا.

الارتباط بقيم لا غنى عنها، مثل حياد الدولة بضمان الحقوق الطبيعية والمشروعة للشخص، تقسيم السلط والوظائف والحرية الفعلية للفرد من آليات اجتماعية ذات أسس قبلية، هو ما يميز المجتمع المعاصر، تماما عكس الشعوبية.

الغموض الحقيقي للإخوان المسلمين لا يكمن إذن في الاختيار بين إرهاب أو ديمقراطية، كما يصرح بذلك عدة مؤسسين من المستوى العالي للسياسة العالمية. هذه القضية، قام بحلها الإخوان المسلمون منذ وقت، في إطار إيديولوجيات شعبية جديدة وجد ديمقراطية. الغموض الحقيقي للإخوان المسلمين يكمن في شكل الدولة وفي العلاقة لهاته الأخيرة بالدين مقابل احترام الحقوق الأساسية للشخص. شكل الدولة هو التحدي الحقيقي الحالي للعملية الحداثية العربية والإسلامية.

هناك صفة أخرى مميزة للإخوان المسلمين مرتبطة بتعريف متقفيهم. معظم مراجع الإخوان المسلمين (بالاستثناء الهام للقرضاوي) من البنا على المودودي، من قطب وطارق رمضان. لا يأتي عادة من المؤسسة الدينية، كما هو الحال عند السلفيين الذين هم عادة أئمة مكونين في مدارس للشريعة الإسلامية.

هذا الشذوذ الظاهر هو صفة تجمع كثيرا الإخوان المسلمين بوجه عدة لإرهابي القاعدة التي تعتبر تفسيراتهم اللاهوتية السياسية في تناقض ظاهر مع مجلس العلماء وأغلبية الأئمة، لهذا ينقص دائما على الأقل واحد من ركائز التحليل القانوني التي هي الإجماع. لكن اتجاهات هذا التلاؤم الظاهري أصبحوا متباينين عندما يتم التحول إلى تحليل الوجه الإيديولوجي. بالفعل، بعكس ما يحدث للحركات ذات الوحي الإرهابي، هذا البعد الهرطقي (الذي يعتبره الكثيرون تراخيا) لاجتهاد الإخوان المسلمين، على الأقل إذا نُظر إليها في حدود الشكلية التقليدية الضيقة، في الواقع يسمح للإخوان المسلمين ليس فقط بناء جسور بين الإسلام والحداث، ولكن أيضا لتجاوز الحواجز الطائفية التقليدية القبلية والقومية. صحيحا عكس السرد الإرهابي، الذين يتجهون بالعكس نحو أشكال من السلفية وبذلك يصبحون حصريين.

عاملين حول السرد للإصلاح الإسلامي المعاصر، وحول موضوع الفتنة، في مفهومها اللاهوتي الذي يتسبب فيه التعصب، اتخذ الإخوان المسلمون منذ البداية، مبتعدين عن السرد التكفيري وعن الدوغمائية الصارمة النموذجية للحركات سواء الإرهابية أو السلفية. هذا التعريف سمح لهم بربط تحالفات غير منشورة، مثلا التحالفات مع شيعة حزب الله. علاوة على ذلك، منذ سنوات الثلاثينيات البنا نفسه، في "الأصول" حاول التقليل من هذا الشرخ بين الشيعة والسنيين، باسم الإيمان المشترك. في نفس الوقت، عرف الإخوان المسلمون أيضا كيف "يسترجعون على اليمين" لنقل هكذا، مع سلفيي الخليج وفي العالم الإسلامي، حتى يصبحوا محفزات لعدة عوامل إسلامية التي عادة ما تجد صعوبة للتحدث فيما بينها. في أوروبا مثلا، جلب الإخوان المسلمون تحت مختصراتهم التنظيمية حركات مثل السلفية والصوفية وحتى منظمات حكومية، حائزين بذلك على قدرة قوية للتمثيلية نحو حكومات أوربية، أيضا لا تسمح بذلك أرقامهم الفعلية.

هذه القدرة على أن تكون محفزات، حتى عندما يكونون في المعارضة، تظهر أيضا في البلدان المسلمة التي يساهمون فيها في النضال السياسي، مثل ليبيا، وهو معطى مجهول لدى الحركات الأصولية السلفية الصارمة، الذين، إذا أرادوا الحصول على أدوار سياسية ذات أهمية، يجب أن يربطوا اتفاقات مع الإخوان المسلمين. نموذج جيد لهذه القدرة الخارقة موفرة لدينا من خلال الاستجواب الذي خصنا به في بنغازي فوزي بشير أبو قطيف من كتيبة الشهداء، قلب المنظمة الثورية العسكرية الليبية الجديدة. الكتيبة، بعد أن هزمت القوات الموالية للحكومة في بنغازي، جندت داخل صفوفها قرابة 300 مقاتل أفغاني خرجوا من سجون نظام القذافي.

يتعلق الأمر في الغالب بسلفيين، حتى سنة 2004 كانوا في جدال قوي من داخل سجون النظام، خاصة مع الإخوان المسلمين بالنسبة للبعد الإصلاحي المعتمد من طرفهم، نحو مبادرات سيف الإسلام وبالنسبة لموقفهم اتجاه الديكتاتور، معتبرين إياه جد استيعابي. أصبح أبو قطيف والكتيبة مرجعا لكل الدينين الليبيين، بغض النظر عن ارتصافهم في حركات مختلفة أو تحالفات ما قبل الثورة. بهذه الطريقة، الكتيبة وتكنتها 7 أبريل، أصبحوا قطبا لجذب كل الوظائف العسكرية أيضا الجيش الليبي المنحل، لابعين دورا غير متكافئ بالتأكيد بالمقارنة مع القدرات العسكرية الفعلية للإخوان المسلمين قبل الثورة.

البعد الإيديولوجي للإخوان المسلمين هو ما يسمح لهم بسلطة قوية للتحالف، متجاوزين بطريقة براغماتية خلافات وتناقضات نموذجية للتكوين السوسولوجي لعدة بلدان مع درجة منخفضة من تأميم الجماهير.

هناك نموذج آخر يمكن أن يوضح جيدا هذا المظهر. في ليبيا، معروف لدى الإخوان المسلمين شعار: لا للحزبية ولا للقبليّة، الذي هو جزء لا يتجزأ من برنامج الحكومة الانتقالية المؤقتة في بنغازي. في الجانب العملي، ذلك لم يمنع المؤسسين الفرديين للإخوان المسلمين في مختلف المناطق التشغيلية، من التعامل مع القبائل من أجل الحصول على امتيازات خاصة، معترفين لها بالقيمة بالمقارنة مع المجتمع الليبي المسلم التقليدي. في بعض الحالات، تأسلت بعض القبائل، فاهمين بسرعة الامتيازات الممكنة لهذا الاختيار.

بالنسبة للإخوان المسلمين، الولاء يكون بالدرجة الأولى للإسلام وقادته. لكن بما أنهم يفضلون أسلوب الديمقراطية وتطور المجتمع المدني كطريقة للنضال، الحوار مع القبائل ومع الهيئات الاجتماعية الوسيطة (الهيئات المهنية والنقابات، الذين كانت لهم أهمية شكلية معينة في الجماهيرية القذافية) حملهم نحو التحالف أيضا مع هذه الموضوعات بارتباط مع أسلمتهم. بالأحرى التحالف مع هذه العناصر الاجتماعية الوسيطة هو ما سمح للمتقنين الإصلاحيين، في مرحلة الإصلاح الليبي، بالرجوع إلى امتلاك وظيفة عمومية، مثلا مدافعين عن حقوق عائلات الموتى.

ظاهرة مشابهة للاندماج باسم الديمقراطية الإسلامية ولتلك اللاهوتية الحداثية تسجل بالنزاعات الوطنية أو العرقية، التي تعيش زاحفة داخل مختلف الدول العربية المسلمة وداخل الجاليات المسلمة المهاجرة، خاصة في أوروبا. لكن الإخوان المسلمين يُظهرون بمعرفة تسييرها أحسن من أي عنصر منضم.

"ضد الانفصالية" هو شعار ميز حملة ليبيا الإخوان المسلمين، مثلها مثل تلك في المغرب ضد الجبهة الصحراوية، حتى تبقى في أمثلة جد مميزة.

كختام، يمكن القول بأن الصفة المميزة للإخوان المسلمين تكمن في الأشكال التنظيمية، بل في الرعاية الإيديولوجية التي تلهم عددا لا يحصى من التدخلات. لذلك فمفتاح حركات من هذا النوع هي معطاة من العلاقة بين الزعامة الدينية، الثقافية والقانونية من جهة، والنظام المعتمد للمنظمات الذي يعتمدون عليه بين المرة والأخرى من جهة أخرى. هو نظام فكر جد مرن، متجدد بالمقارنة مع نماذج عربية إسلامية سابقة، قادرة على التكيف مع الواقع. فكر بطبيعته الإصلاحية يسمح بأعلى سلطة للتحالف على أي مستوى.

د. عمل التاريخ: بين السياسة والتبشير.

9. بالموازاة مع غالبية هذه المكونات، في هذه السنوات عدد من جماعات الإخوان المسلمين، خاصة في مصر، سوريا وفلسطين، تستسلم لإغراء الإرهاب، أيضا من خلال إعادة تصميم في أشكال جديدة لما يسمى بالجهاز السري، الذي كان قد أراده البنا نفسه في الأربعينيات. لا توجد دائما علاقة مباشرة بين استراتيجيات قمعية للحكومات والجهاز السري للأخوة: حتى في سنوات التسعينيات، على سبيل المثال، الشيبية المغربية Mouty استمرت في الحفاظ على جناح إرهابي موازي للحزب السياسي الرسمي الذي سوف يكون مسؤولا عن اعتداءات مختلفة. تم توجيه اتهامات مماثلة حتى سنوات التسعينيات في النهضة في تونس.

يتعلق الأمر في الواقع بهوامش سوف يكون لديهم دائما طابع أقلية على الأكثر ذات إحياء قطبي. ما بين سنوات 70 و80 أعطوا الحياة لحركات انفصالية متعددة خلقت في حضان الأخوة، ثم تفرقت بعدها بطريقة جدالية.

في عدة حالات تعلق الأمر أيضا بوكلاء حقيقيين لكيانات أخرى دولية الذين تلاعبوا بهم واستعملوهم لسياساتهم الخاصة للتدخل والسيطرة الإقليمية والدولية، كما هو الحال للفلسطينية PIJ. بعض من هؤلاء، المزدادين داخل مزيج الثقافة للأخوة وبعدها من هؤلاء الانفصاليين، كالمصريين "الجماعة الإسلامية"، الجهاد الإسلامي أو السورية "الطليعة" يتدفقون مباشرة في القاعدة.

بلا شك فإن الفجوة بين الظاهرتين أصبحت شبه نهائية منذ الثمانينات، حركة الإخوان المسلمين في غالبيتها، رغم أنها تحت الضغط وفي مختبأ، ومنذ عهد حسن الحديبي، (1952-1977) ثاني مرشد روجي كان دائما يدين هذه الاستراتيجيات الإرهابية، مفضلا النضال التبشيري، السياسة والمعرفة التدريجية داخل النظام. مثقفو الجيل الثالث سوف يصبحون أكثر تصلبا في هذه النقطة للعدول عن العنف. المثل الأكثر رمزية لهذه الدورة الجديدة ربما هو لحماس الجزائرية، مناقضة بالكامل لتلك الفلسطينية، التي سوف تعارض "جبهة الإنقاذ الإسلامية" وستساهم في حملات ضد العنف لبوتفليقة كما سوف تعمد إلى فعل ذلك الأخوة المصرية ضد القاعدة.

منذ تلك السنوات، نموذج الأغلبية للعملية السياسية الذي سوف يتبعه الإخوان المسلمون، حتى في لحظات الصعوبة الكبرى، سوف يكون هو نموذج الجبهة الأردنية والسودانية، وخاصة "جماعة الإسلام الباكستاني" والحزب التركي الإسلامي، أي نموذج تدريجي للأدراج السوسيو-سياسي وللنمو من الأسفل لمجتمع إسلامي جديد قادر على إعادة الاتصال بالمصادر الدينية.

إلى جانب هذا الاختيار الواضح للأغلبية، يلاحظ مع ذلك، ودائما عدة توترات، بين المظاهر الدينية، تلك السياسية والأخرى العنيفة. هذا عنصر ذو طبيعة دينامية يجب التعامل معه باحتياط، عندما يطرح مشكل العلاقة والحوار مع الإخوان المسلمين ومستقبلهم.

بالمقارنة مع هذه العملية ذات الرفض الواضح والمعبر عنه للإرهاب، لقبوله الديمقراطية وللطرق الديمقراطية للنضال الشرعي، توجد هناك بالفعل بعض الاستثناءات، التي هي فوق كل شيء نموذجية لتذبذبات الحركات الشعبية، التي تميل دائما للاختصارات.

ظواهر تعتبر بمثابة جواسيس بطريقة ما استعجالية تعزيز مزيد من التطورات الإيديولوجية والسياسية لهذه الحركة.

أبرز هذه التناقضات هي الفلسطينية حماس، فرع الإخوان المسلمين الذي سوف يسعى إلى الحفاظ دائما على الوجه العسكري وأيضا الإرهابي باعتباره مختلفا عن القاعدة. الفرق الكبير يتجلى في كون عملية المقاومة لحماس، بعكس تلك للحركات التي كان وراءها أسامة بن لادن، سوف تكون محدودة دائما وحصريا على الأنشطة الإرهابية ضد الاحتلال العسكري الإسرائيلي، وذلك على أساس سيناريو إقليمي ضيق وذو أهداف مختلفة جذريا من تلك الأهداف للإرهاب القاعدي مما جعلهم أكثر قبولا ومصداقية من عدة جهات في اليسار الأوربي والأمريكي. عدو حماس بقي دائما بمثابة العدو القريب، دولة إسرائيل التي تحتل الأرض الفلسطينية، بينما عدو القاعدة هو عدو بعيد، وهو نحن، الغرب.

بالنسبة للإخوان المسلمين الذين يناصرون الديمقراطية والحل السياسي، حماس لا تعتبر شذوذا وهذه إشارة جد خطيرة، أيضا لأنها تدلنا على أن العلاقة مع إسرائيل لا تزال دون حل وموضوع جدال بين الإصلاحيين الإسلاميين، من كل نوع أو شكل، والغرب ... نفس المواضيع تطفو وتظهر حين يتعلق الأمر بالكاشمير، الشيشان، العراق أو أفغانستان، التي يفسر فيها ويشرع الإرهاب أيضا ضد الغربيين كحافز للمقاومة، على نموذج المقاتلين من أجل الحرية من النازية-الفاشية، أيضا وإن كان بالمقارنة مع موضوع الانفصالية، تسجل اليوم عدة فروقات.

تبقى على طاولة تفكير الإصلاحيين المعارضين أيضا فكرة أن الجهاد الدفاعي هو خيار سياسي ليس فقط دوليا، باعتبار بعض الشروط التي تميل إلى الانحصار في سياق إصلاحي مقارنة بالآخر الذي هو إرهابي الذي يعتبر فيه الجهاد على أساس أنه واجب فردي.

إن التعايش في الأفكار والآليات الإرهابية والمشاركة في اللجنة الديمقراطية، أو بالأحرى، تنظيرها كبديل للإمبريالية الغربية أو الاحتلال الإسرائيلي، كانوا بمثابة الوجهان لعدة حركات للإخوان المسلمين في عديد من دول المنطقة، خاصة في عقد التسعينات، ولم يتم أبدا التخلي عنهم بالكامل، ولا حتى بوجه التصريحات المتكررة لعدم العنف وللحوار مع الغرب.

10. حماس ودعمها لحركات المقاومة الأخرى الإسلامية هي الدليل المستمر بأن الكفاح المسلح غير الدولي، في رؤية الإخوان المسلمين هو أداة متاحة على أرض المواجهة السياسية، بالرغم من الكثير من التصريحات للتخلي عن العنف.

مع حماس، التي حتى سنة 2006، كانت دائما تقاطع أو تحط من قيمة الانتخابات، اتضحت لأول مرة أيضا أن فكرة نضال المقاومة والديمقراطية هما متلائمتان، تقريبا على نموذج المقاومات الشعبية الأوروبية في وجه النازية-الفاشية. بالفعل، وكما يشدد على ذلك غالبا زعماءها، فإن حماس تعتبر حركة ديمقراطية، بمعنى أنها حصلت بالتأكيد على الغالبية في غزة سنة 2006 من خلال انتخابات حرة (ومن الاحتمال أن تنجح في كامل فلسطين اليوم في حال انتخابات حرة). لكنها أيضا حركة تنظر المقاومة كأداة للنضال السياسي وتستعمل الإرهاب، الاختطافات، قصف المدنيين، الاعتقالات الوقائية للمعارضين والتعذيب في المواجهة السياسية الداخلية والخارجية.

كتب أحمد بن يوسف، أحد كبار المثقفين للإصلاح في حماس، في كتابه الحكيم "الإسلاميون والغرب: من المواجهة إلى التعاون" العمليات الانتحارية ضد المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط لها دوافعها السياسية. هي عمليات متبادلة في صراع بين قوى إقليمية وأمريكا لهذا، فليس من العدل استعمال هذه الأحداث كدليل على أن الإسلام مناهض للغرب. عمليات كهذه يجب أن تبقى في سياقها، أي ما بين حدود الصراعات بين الأمم وليس في العلاقة بالحركات الإسلامية التي هي مضطهدة، ضعيفة سياسيا، بدون دعم عسكري وتحت الرقابة (باستثناء إيران، ومؤخرا السودان).⁷

لذلك فإن نضال حماس يتصور ليس فقط كدفاعي، ولكن أيضا كنضال مشرع من طرف التصويت الشعبي، لدرجة أن إدانة عملياته تثير دائما لدى الإخوان المسلمين اتهامات مناهضة للغرب ذات معيار مزدوج. الديمقراطية الحقيقية حسب هذه الحكاية الشعبية، سوف تكون ديمقراطيتهم، لا ديمقراطيتنا، التي نتحدث عنها ونتشبث بها فقط عندما يتحتم علينا الدفاع عن مصالحنا.

يكتب بن يوسف من جديد: "حركات إسلامية في الأردن، تركيا، ماليزيا والسودان أظهروا التزامهم في تطبيق الممارسات الديمقراطية في سماتها الأساسية. إن الإسلاميين، حيثما صودقت منظماتهم، قاموا بممارسة مسؤوليتهم وأظهروا معنى كبيرا من الاعتدال. بالرغم من ذلك، تم تعليق العملية الديمقراطية في بعض البلدان عندما ظهرت حركات إسلامية على وشك الفوز انتخابيا. لذلك، يمكننا استنتاج أنه يوجد هناك مخطط، مكتوب أولا، للحصول على ثلاث أهداف: تقويض محاولات الإسلاميين للمشاركة في الانتخابات، الحصول على النتيجة للضغط على المسلمين كي يفقدوا الثقة في الديمقراطية والالتجاء إلى العنف كطريقة للانتقام لإحباطاتهم الشخصية"⁸.

في الواقع، هذا النقاش حول حماس، للديمقراطية والمقاومة، يجب أن يؤخذ جديا. هذا يفضح تناقض الديمقراطية الشعبية الإسلامية. كونه حصل على السلطة من خلال القاعدة الغالبة، أي

⁷ بن يوسف، الإسلاميين والغرب: مواجهة ثم تحالف، في إبراهيم أبو الربيع، القارئ العربي المعاصر للإسلام السياسي، لندن، 2010، ص 162 و170

⁸ بن يوسف، الإسلاميين والغرب: مواجهة ثم تحالف، في إبراهيم أبو الربيع، القارئ العربي المعاصر للإسلام السياسي، لندن، 2010، ص 167.

الديمقراطية لا يمكن أن يكون الشرط الوحيد للشرعية السياسية. العنصر الأساسي لهذه الشرعية هو بناء الدولة، في بلد عاش تحت الاحتلال الإسرائيلي والذي سجل فشل الحاكمة "فتح".

النتائج هي تحت أعين الكل: وراء وعود الإصلاح الإسلامي، الذي فازت من خلاله حماس الانتخابات، الآن، لم تعد هناك مواطنة، حقوق، حرية ورفاهية. على العكس هناك صراع أكثر أيضا داخلي فلسطيني، وشكل جديد من احتكار السلطة من طرف نخب إسلامية جديدة، تستعمل كل الأساليب المتاحة لأسلمة المجتمع. (ومن أجل الحفاظ على السلطة، حسب المخطط المعروف لتداول نخب باريتو).

11. العقدة التي طرحها هذه القضية وهي أن الإخوان المسلمين الفلسطينيين من وراء تصريحاتهم، لا يبدون اهتمامهم بحكومة رشيدة، تفهم على أنها نموذج للمساءلة بمصطلحات غربية، للحريات الأساسية، لاحترام القيم المقدسة للإنسان ولحيادية الدولة، التي هي بالفعل قيم لأسس أنظمة سياسية غربية. بالنسبة لحماس، كونها امتلكت الشرعية الديمقراطية لبرنامج إسلامي يعني اليوم إمكانية تحقيق هذا البرنامج، أيضا ولو كان الثمن هو انقلاب ضد معارضة حركة فتح أو القمع القاسي ضد أي شكل من أشكال المعارضة في غزة. الشعب، أصبح هو العنصر الشرعي لأشكال شعبية جديدة من القمع. محور النقاش بعد أخذ السلطة، مرّ من الحكم، من تسوية المشاكل، من بناء الدولة، إلى إعادة اكتشاف الشعب، كمصدر للقيم، للتحريك، الشرعية. هو نمط نموذجي للشعبوية الغربية.

تعتبر غزة بمثابة الصورة البلاستيكية لشكل الشعبوية الديمقراطية بطريقة إسلامية، تستطيع التعايش بكل هدوء مع الديكتاتوريات، كجزء كبير من الشعبويات في التاريخ.

حماس ليست هي الحالة الوحيدة التي تتعايش فيها ملامح ديمقراطية وميولات للانقلاب، في نفس الإطار الشعبي. يجب أن نتذكر أن الانقلاب العسكري السوداني لسنة 1989 الذي سعد فيه عمر البشير إلى الحكم، كان هناك الـNIF للإخوان المسلمين.

علاوة على ذلك، حتى سنوات الخمسينيات، "البيت الأم" المصري للإخوان المسلمين كان قد دعم انقلاب الناصر في مصر وفي عدد من البلدان، غالبا ما وجد الإخوان المسلمون أنفسهم متورطين في مؤامرات بمشاركة الجيش أو في محاولات للعصيان المسلح.

كيف يمكن أن نستبعد أن لا يتكرر الأمر في المستقبل، في غياب لمراجعة واضحة لهذه النماذج؟ اعتبارات كهاته يجب تجاوزها بالكل وإلا فبإمكانها أن تتكرر في المستقبل، حتى ولو في سياق سياسي داخلي مختلف ودولي؟

بخصوص هذه المسائل، فإن مستوى التعديلات داخل حركة الإخوان المسلمين هو جد منخفض، إن لم يكن منعدم، حتى داخل مجتمعات المهجر وفي أوروبا، جد معرضة ثقافيا لهذا النوع من التفكير النقدي.

نقص كهذا يمكن أن يعزى لنوع الديمقراطية الشعبية التي سلكت طريقها داخل الإخوة المسلمة، أي التي تهدد بإنتاج قطيعة ما بين محتويات وعمليات الديمقراطية بالنسبة لطبيعة الديمقراطية الشعبية للإخوان المسلمين: إذا كانت الأغلبية تريد الشريعة، باعتبارها رمزا من القرون

الوسطى، تخرق حقوق الأقليات والحقوق الأساسية للشخص، أصبح من الضروري فرض الشريعة بشكل متناقض باسم الديمقراطية، كما طرأ مؤخرا في مصر مع الاستفتاء وكما يمكن أن يحدث في كل المنطقة العربية بعد ثورة الياسمين.

يظهر واضحا أن التمييز لم يعد ديمقراطية، ولكن القيم غير القابلة للتنازل للنظام السياسي، أي حيا الدولة التي تضمن الحقوق المقدسة للشخص دون تمييز ديني، التي تعتبر فيها الديمقراطية فقط واحدة من التطبيقات في اختيار الطبقات الحاكمة. بالفعل، في هذه النقطة، يظهر بعض إيديولوجيي الإصلاح المعاصر للإخوان المسلمين فشلا خطيرا. رشيد الغنوشي، على سبيل المثال، استمر حتى لوقت قريب في الحفاظ على تميز تقني-قانوني خطير بين مواطنة عامة ومواطنة خاصة، التي خصصت فيها الأولى للمسلمين، والثانية للآخرين، حسب المخطط التقليدي لـ"دهيمي" للمحميين. فقط للأوائل تمنح المسؤوليات السياسية الهامة. النقاش الداخلي لمختلف حركات الإخوان المسلمين حول ما يجري وكيف يجب على السياسي في الحكومة أن يتصرف حيث تتصادم مطالب الشعب (أو الأحزاب الغالبية فيه) مع المبادئ الأساسية للقرآن، أي مع الطرف الغير قابل للتفاوض في الإسلام، ذلك يبقى عقدة مفتوحة. بالفعل، فإن النمط الثقافي للشعبوية الإسلامية الجديدة تقريبا لا ينظر إلى هذا الاحتمال، لأن الشعب الذي ضحى بالديمقراطية الإسلامية وكان في المقدمة، لا يمكنه إلا إعادة اكتشاف طبيعته الإسلامية المفترضة، فطرته الشخصية.

في النقاش الجاري، تم حل المشكل بالدعوة إلى التوحيد، إلى الطبيعة الموحدة للإسلام ولاستحالة خلق تميزات بين السلطة والمجتمع. لكن داخل الأحداث، الدولة المعاصرة هي بالذات الضامن للتمييزات، كما نعرف من خلال التجارب العديدة، على سبيل المثال، الحركة الكاثوليكية الإيطالية بخصوص مواضيع مثل الإجهاض أو الطلاق. عندما يتم الانتقال من مخطط التصريحات العامة إلى الآخر المتعلق بالممارسة السياسية، خاصة المتعلقة بالحكومة، تستمر حركة الإخوان المسلمين في الافتقار إلى أجوبة حقيقية، لحدّ الآن. تعتبر نماذجها، من حماس إلى السودان، من باكستان إلى الأردن، مع الاستثناء الوحيد لتركيا ضعيفة.

قضايا الدولة والحكومة جد حاضرة في تفكير الإخوان المسلمين، لدرجة أن الغنوشي كتب: "بالنسبة للإسلاميين، الشيء الأكثر خطورة هو أن يكونوا محبوبين لدى الشعب قبل الصعود إلى الحكم وبعدها أن يكرهوا"⁹، هذا هو التحدي اليوم في الربيع العربي.

ه. العامل "التاريخي": تطور منظمة جذرومية (ريزوماتية)

12. من بين النتائج الأكثر أهمية للتفكير الإصلاحي ولتجربة الإخوان المسلمين في العلاقة بين العمل التبشيري والسياسي حملت الحركة إلى تكوين أشكال وبنيات منظمة جديدة للمشهد السياسي العربي. كان على الإخوان المسلمين بناء أشكال تنظيمية جديدة مع الوقت، التي تركز أكثر على المجتمع المدني، وعلى الرعاية أكثر منها الحزبية، أداة يعتبرونها متجاوزة لتعبئة الجماهير.

⁹ رشيد الغنوشي، الحركة الإسلامية: النقد الذاتي وإعادة النظر، في إبراهيم أبو الربيع، القارئ العربي المعاصر للإسلام السياسي، لندن، ص132

الأسباب هي بكل تأكيد تكتيكية، لكن يتعلق الأمر بقضايا إيديولوجية مرتبطة بتطور الشعوبية الإسلامية.

بالنسبة للإخوان المسلمين، المسألة الأكثر أهمية ليست هي التنظيم، بقدر ما أصبحت هي العلاقة بين المقدمة و"القوة المتجاهلة"، الشعب المسلم، الذي هو غالبا ذو طبيعة محافظة، يبحث عن حلول مرتبطة بأسوأ المذاهب الإسلامية فيما يخص الدولة، الحقوق المدنية والحرية. لذلك فالنموذج يعتبر ثانويا. تفعيل الديمقراطية، كما يذكرنا غالبا القرضاوي، يعني صحة الضمان.

مبادئ مثل الديمقراطية الإسلامية الجديدة، إعطاء الاعتبار للمجتمع المدني أو إعادة اكتشاف حقوق الشخص، لا يمكن عزلها عن هذا الإطار الشعبي الذي له جذور داخل المفهوم الإسلامي للخلافة، كبديل إنساني للقانون الإلهي. ذلك هو جوهر الشعوبية الذي له كنتيجة طبيعية بعد مرن للمبادئ المنظمة وللصراع من أجل السلطة. كما يذكرنا رشيد الغنوشي في كتابه "العلمانية في بلاد المغرب الإسلامي"، "دولة الحداثة الزائفة" احتل البنيات المتبقية للمجتمع المدني، مساجد، تبرعات، مؤسسات دينية، نقابات، أحزاب، جمعيات خيرية والصحافة، كلها احتلت.

بعد هذه التطورات الإيديولوجية، سوف يصبح الإخوان المسلمون في التسعينيات، أو الفيدراليين والاستقلاليين العرب، مطبقين أنظمة فرعية جد متقدمة، متعلقة بالتنظيمات والمسؤولية، ومتخلين عن البنيات المركزية، تلك السياسة البحتة، باحثين لذلك أيضا داخليا على تقييم المبادئ الإيديولوجية المنتشرة في المجتمع. حسب الجزائري ناهنا، الاختلافات الجغرافية، اللغوية والمذهبية في سياق الإسلام هي ظاهرة طبيعية وصحية تغني الحياة وتحفز المجتمع من خلال الشورى أي الحوار، المنافسة العادلة، تبادل الأفكار والنقد البناء.

عملية التنوع هذه التي فسرت من طرف البعض كهيمنة على السلطة، مقترحين تفسيرات لمخططات عفى عليها الزمن.

عندما كانت في الواقع نتيجة عوض أن تكون نهجا تبشيريا للمجتمع الذي يستمد جذوره من الشعوبية الإسلامية. نفس الاختيار السياسي، بالأحرى كان وهو الآن موضوع لنقاشات شرسة داخل الإخوان المسلمين، أدت في حالات عدة لكسورات بين البعد الاجتماعي والآخر السياسي.

يتساءل الغنوشي: "أولويتنا هي العمل الاجتماعي أو أخذ السلطة؟ هاتان المسألتان لا يمكن إبعاد الواحدة عن الأخرى-الإسلام يريد أسلمة المجتمع والسياسة في آن واحد-لكن إذا كانت مصالح العمل التبشيري تتناقض مع المصالح السياسية، تلك الاجتماعية يجب أن تتفوق على الباقي. وقد برهن على أن ما يؤخذ عن طريق المجتمع هو أكثر استقرار وأحسن مما يؤخذ سياسيا. التجربة المعاصرة علمتنا بأن الأشياء التي حصل عن طريق الدولة هي سريعة لكن ذات أمد قصير لأنها مرتبطة بالقوة. بعكس ما يؤخذ عن طريق الأنشطة الاجتماعية، يدوم لأنه مرتبط بالإقناع. الكائنات البشرية لا تحب أن تؤخذ بالقوة. أهل مكة أعطوا لمحمد صلى الله عليه وسلم الحكم، لكنه رفض، مفضلا على عكس ذلك تأسيس دعوته"¹⁰. شرح هذه المقولة يظهر أن استعمال العدسات التفسيرية للهيمنة بالمعنى الكرامشيانى لتفسير تطور الإخوان المسلمين يعني عدم إعطاء مصداقية للتوترات وللنقاش الداخلي الذي كان موجود داخل الإخوان المسلمين على النماذج المنظمة، على العلاقة بين السياسة والرعاية، بين أدوات دنيوية وتبشيرية للوصول إلى الشعب والحكم. كنتيجة، يعني

¹⁰ رشيد الغنوشي، الحركة الإسلامية: النقد الذاتي وإعادة النظر، في إبراهيم أبو الربيع، القارئ العربي المعاصر للإسلام السياسي، لندن، ص132

أيضا عدم فهم أن واحدا من المنافذ الممكنة للإخوان المسلمين، إذا فشل على الصعيد السياسي، سوف يكون للعملية الدينية والتبشيرية، كما حدث لعدة صوفيين ولعدة حركات إسلامية في التاريخ. حساسين للشكل الحزبي، الذي لا يمكن إلا أن يعاش كتقييد لطموحاتهم الكونية ذات الأسس الإسلامية.

سرعان ما تخلى الإخوان المسلمون عن نماذج مركزية للتجهيز والتنظيم، التي هي نموذجية للحركات الوضعية وللعلمانيين العرب المسلمين، وقد اعتمدوا على المبادرة الحرة للمنظمات المفردة الوطنية أو الإقليمية، قادرين على التأقلم مع الواقع السياقي، محددين من أن الآخر، أهدافا تدريجية ومستدامة في كامل الاستقلال. كما يذكرنا بذلك إسبوزيتوفول، وأحد من بين الملامح المميزة للإصلاح منذ الثمانينيات وما فوق، هو معطى لتلك الفكرة بأن الحركة الإسلامية يجب أن تطور أجوبة ملائمة لنفس المستوى المحلي والوطني ولنفس السياق الجهوي¹¹.

لقد توجهت البلاد التي تعاني من القمع القوي نحو نماذج ريزوماتية من التنظيم، تستند إلى دور المجتمع المدني باعتباره عامل لنمو الإسلام في المجتمع: شرط أساسي للديمقراطية الشعبية، وفقا لنموذج ايديولوجي من الشروقراطية. اجبر القمع الذي تمارسه الدولة عليهم على اخذ أشكال تنظيم غير رسمية، مستندة على شبكات شخصية وعلى درجة عالية من التقسيم هو في الواقع مناسب جدا لطبيعتها. هذا النموذج يختلف عن النموذج المصري، الذي حاول في عصر السادات ومبارك للدخول بطريقة مباشرة أو غير مباشرة للحياة السياسية، وهو الموجود في تركيا، سوريا، وليبيا.

13. اضطر القياديين في ليبيا، حيث كان الضغط كبير من جهاز الدولة، للعيش في الخارج بأمان، خصوصا في أوروبا (بين سويسرا، إيرلندا وانجلترا) محافظين على العلاقات مع القادة في الدول الأخرى والزعماء الروحيين والناشطين في بلادهم. على سبيل المثال في النموذج الليبي: لجأ سليمان عبد القادر، الأمين العام للجماعة لغاية نوفمبر 2011، ونائبه احمد بوشاه واحمد القصير إلى سويسرا، بينما لجأ ونيس المبروك، عضو في تجمع العلماء المسلمين ورئيس مجلس شورى "الرابعة"، وهي مجموعة دينية ذات اهمية كبرى إلى إنجلترا. وفي لندن أيضا يسكن محمد عبد الملك وهو رئيس جمعية حقوق الانسان في الجماعة ومحمد لطبوش القيادي والمؤسس لموقع المنارة العلمية، حيث تم تنسيق جزء كبير من ثورة 17 فبراير في ليبيا. ان أعضاء الجماعة الذين بقوا في ليبيا، حيث لا يتم طلب الإنتساب إلى الحزب أو حتى قسم اليمين كما هو الحال في مصر أو تونس على سبيل المثال، انصهروا في المجتمع المدني واصبحوا ناشطين في مجال حقوق الانسان، ممثلين للنقابات المهنية، اعضاء في المؤسسات الخيرية، وبشكل خاص قادة للمراكز الدينية في الجوامع، جنبا إلى جنب مع الامام، والمنظمات الإسلامية المختارة من قبل النظام، كالدعوة الإسلامية الليبية. ان الوجود السري في الجوامع، جمع الأموال، فضلا عن مبادرات من المجتمعات المحلية هي من السمات المميزة لجماعة

¹¹ جون إسبوزيتو وجون فول، صناع الإسلام المعاصر، أو كسفورد 2001، ص. 109

الاخوان المسلمين في العالم. يجدر التوضيح ان هذا ليس خيار تكتيكي فقط ولكن هو خيار ايدولوجي أولا واخيرا يأخذنا إلى قلب الفكر الديموقراطي للاخوان وجوهرها الشعبي, على ان يتحول إلى ممارسة يومية على جميع الأصعدة.

ان حالة مجموعة فريق نداء الخير الليبية¹² هي مثيرة للإهتمام وتمثل جيدا هذه الديناميكية. ولد هذا التنظيم في القاهرة في يوم الثورة الليبية في 17 فبراير. هو منظمة غير حكومية تم وضعها تحت مظلة واقية من مؤسسات في الجماعة الاسلامية المصرية, اتحاد الاطباء العرب, الرسالة واتحاد المحامين, وهي منظمات ساهمت في التخطيط والمشاركة في الثورة في ميدان التحرير في يناير وفوز الجماعة في الانتخابات الدستورية في مايو. ان هذه المنظمة الغير حكومية لم تكن لتحصل على قانونية العمل بدون دعمهم. ان جمعية "نداء الخير" ولدت من خبرة مؤسسة اخرى من مؤسسات المجتمع المدني وهي "وفاء للاغاثة" الانجليزية. في وقت قليل اصبحت جمعية "نداء الخير" أكبر مزود لخدمات الرعاية الإجتماعية في البرقة. ان روح هذه المجموعة, بالإضافة إلى عدد اخر من الاشخاص, هو عمران القطاني وهو من قبيلة القطاني احدى أكبر القبائل في القرية والتي تسكن في المنطقة الممتدة من الاسكندرية في مصر إلى اجديبة في ليبيا. لقد ساعدت هذه المجموعة آلاف الليبيين خلال الثورة وحيث كان يصل الثوار كانت تصل "نداء الخير" بشاحناتها ومتطوعينها ومكاتبها. حتى في عهد القذافي كانت الجمعية تجمع سرىا المساعدات لتقديمها إلى أهالي المعتقلين في سجن أبوسليم بفضل اموال الزكاة واموال من المجموعة الانكليزية. نجد الان ان نداء الخير ليس لها أهداف سياسية مباشرة كمعظم الحركات والمنظمات المدنية الناشئة حديثا من قبل الشباب والائتلاف. ولكن من الواضح ان هذه المنظمة الغير حكومية لديها وزن مهم جدا خاصة انها تضم كوادر مهنية ذات اهمية عالية تساهم في التوافق الاجتماعي البعيد عن الطائفية ولديها علاقات واتصالات دولية وهي مقومات تنقص الحركات السياسية الدينية الليبية الأخرى.

ان المعركة السياسية لهذه الجماعات بدت كأنها بقيت في الخلفية في عهد القذافي وستبقى كذلك لبعض الوقت. يكفي النظر إلى الجماعات الاسلامية الليبية التي لم تريد الدخول في الحكومة الليبية المؤقتة وابتعدت عن مختلف الأحزاب السياسية الأخرى (على الرغم من التوقعات بانشاء حركتهم الخاصة في اوائل سنة 2012) وتصريحاتهم المشددة على استقلالهم عن فروع اخرى للاخوان وحتى اختيارهم لشخصية القائد" كمسؤول عام" بدلا لشخصية" المرشد" التقليدية. وكان عملها الأساسي لغاية المؤتمر الوطني الاول في بنغازي هو تثبيت نفسها على المستوى المنظمات والحكومات المحلية والدعوة واعمل تبشيرية من خلال توطيد نظام اتصال متعدد متين ومستقل. نستطيع القول انه بالنسبة لأي مراقب سياسي هذه الجماعات كانت في كثير من الأحيان غير مرئية.

¹² تحليل للكاتب من خلال مقابلات اجراها مع الاعضاء المؤسسين للمجموعة.

إن الغياب عن الأنظار سمح للجماعات الإسلامية بالبقاء في طيات الأنظمة حتى أصبحت في نهاية المطاف روح للإصلاح جنباً إلى جنب مع سيف الإسلام وجماعته. هذا الأسلوب الممارس في حالة نداء الخير – والذي رأيناه سابقاً في تونس، المغرب وليبيا ينمو على نحو متزايد في مصر وسوريا وبأسلوب مخفي في الجزائر والخليج الفارسي – تم وصفه بدقة من قبل الإصلاحيين في جماعة الإخوان: "حتى الدولة الإسلامية لا تسيطر على كل شيء فيها. إن الحكومة هي جزء صغير من مؤسسات المجتمع المدني. إنها موجودة لدعم وتعزيز المجتمع المدني. يجب أن يكون هناك مزيد من مؤسسات المجتمع المدني. يجب على الحركة الإسلامية أن تعطي السلطة إلى المجتمع من خلال المؤسسات الصغيرة التي تبدأ من الأسفل"¹³. في هذه الأفكار تتكرر الدوافع النموذجية للشعبوية والدروس الليبرالية للثقافة الإنجليزية حول دور المجتمع المدني وحدود الدولة. من الواضح أنه هنا تكمن فرصة كبيرة للتنمية المستقبلية للجماعة نحو تجديد المؤسسات الشرقية والعربية.

خير مثال توضيحي لهذا النهج من الأسفل للأعلى ربما يكون آدم أريج الليبي الذي هو جزء من مجموعة إدارية ليبية متماسكة ومتصلة بشكل جيد بين مصر والعالم العربي ولكن يتم تنظيمها في دبلن طوال السنوات الـ 17 الماضية حيث أصبح زعيم جمعية المهاجرين المسلمين. في دبلن، حيث كان منفياً بسبب انضمامه إلى جماعة الإخوان المسلمين، سرعان ما أصبح رئيس تحرير صحيفة ليبيا اليوم الصادرة على شبكة الإنترنت وهي أكبر حركة داعية للإصلاح الوطني الليبي ومحبة من قبل النظام، على الأقل حتى 17 فبراير 2011. الصحيفة التي نشرت بشكل مستمر منذ عام 2004 هي ثمرة الموسم الإصلاحي الليبي عندما قام سليمان عبد القادر ببدء الحوار السياسي والأيديولوجي مع نجل معمر القذافي سيف الإسلام. ولدت شعارات الثورة في تلك الأيام في الصحف التالية: ليبيا اليوم، قرينة، عراسة، أية أو ليبيا الغد التي ينتمي إليها عدد كبير من الإخوان إلى جانب العلمانيين والتكنوقراطيين واليساريين. كانت مواضيعها الأساسية هي حقوق الإنسان، الدستور، حرية الصحافة والانتخابات، باختصار المواضيع التي تظهر في ثورة 17 فبراير والتي تمثل نموذجاً للإصلاح بالنسبة للإخوان في العالم العربي، آسيا والشرق الأوسط.

14. في بلدان أخرى، حيث المناخ السياسي كان حراً أكثر، كسوريا وباكستان، حتى في المغرب بعد التسعينات والجزائر في عهد بوتفليقة، أخذت الجماعة بشكل مؤقت وتكتيكي صيغ حزبية، مشاركة في الحياة السياسية والبرلمان وحكومية في بعض الحالات وذلك أدى إلى هزيمتها السياسية وسحقها.

¹³ رشيد الغنوشي، الحركة الإسلامية: النقد الذاتي وإعادة النظر، في إبراهيم أبو الربيع، القارئ العربي المعاصر للإسلام السياسي، لندن، ص 132

ان حالة الأردن هي خير مثال. ففي عام 1990 وبعد "ثورة الخبز" دخل الاخوان الحكومة, وبعدها انقسموا إلى احزاب صغيرة بين عامي 1992 و 1993 إلى ان قاطعوا الانتخابات في 1997. مع بروز حزب زكي بني الرشيد اصبحوا واحدة من المجموعات الفلسطينية التي تتخذ من الاردن مقرا لها, وفي سنة 2008 منيوا بهزيمة دراماتيكية في انتخابات الإدارية ادت بدورها إلى تغيير اخر في القيادة, التي اقتربت اكثر فأكثر من حماس. في الاردن كما في المغرب, كانت علاقة المؤسسات الاجتماعية بالحزب جدلية, وفي بعد الاوقات كانت حتى مختلفة ومخالفة. هنالك توتر بين الحركات الاجتماعية-الدينية والأحزاب السياسية, وهو على وجه التحديد نتيجة لحجم الشعبوية في الحركة وبعثه عن جذور شعبية قادرة على اضاء الشرعية على العمل السياسي وواجه التقصير في المحاسبة.

مماثلة هي حالة الاخوان في المغرب, والتي حظت على ذروة شعبيتها ما بين 1990 و 2002, عندما حصل حزب العدالة والتنمية 42 مقعدا في 56 دائرة انتخابية كانت مرشحة فيها. بعد هذه الحادثة, وفي الانتخابات الإدارية لم يحقق الاخوان نسبة أعلى من 6%. احمد ريسوني هو واحد من أهم المنظرين في الإصلاحية الاسلامية المغربية. يقول في كتابه: "فيما يتعلق بالدولة الاسلامية اود القول ان, بغض النظر عن ما يمكن أن يقوله حسن البنا حول هذا الموضوع, تركيز اولويات الجماعة الاسلامية على البلد هو خطأ فادح. أنا أو من في احياء المجتمع وليس البلد, وكذلك الاعتماد على المجتمع الاسلامي (الأمة) ككل. وساكون سعيدا لو ثبت ان موقفي من الدولة الاسلامية غير صحيح. ولكن الحركات الاسلامية اللتي استولت على السلطة السياسية في إيران والسودان اكتشفت ان الدولة ليست لديها القوة الهائلة التي يمكن ان تغير كل شيء في ليلة واحدة فقط. يجب الاعتماد على شيء اخر غير الدولة. حتى المدارس الدينية في إيران اكتشفت ان تأثيرها في المجتمع كان أكثر بكثير قبل عشرين عاما مقارنة بيومنا هذا. في وقتها كان الناس يقدسون ويحبون ويحترمون المتدينين. بينما الآن وبسبب دورها السياسي في الدولة اصبح لها أعداء كثر. اعتقد ان الفكر الاسلامي يمكن ان يعطي اجابات وحلول لمشاكل البلاد ولكنها أخطأت كثيرا فيما يتعلق بهذا الموضوع. اليوم, خلافا لأمس, لم تعد مشكلة البلاد تحتل مساحة كبيرة في فكر الجماعة"¹⁴. هنالك الآن حزب يمثل الاخوان المسلمين في حكومة المغرب ويستعد لتنفيذ هذه الافكار من خلال وسائل دستورية وتحالفات سياسية مع الملكيين المعتدلين.

ان القضية الأكثر دلالة على هذا الموضوع هي السودان, كما يذكرنا الريسوني, حيث تتجسد شخصية القائد في حسن الترابي, وهو ذات ثقافة مميزة ومرجع عالمي للمسائل المتعلقة بالشرعية, وهو ينحدر من جيل من المصلحين الذين اجتازوا مرحلة المؤسسين, وهو ذات أفكار واتجاهات جديدة. في عام 1995 دخلت الجماعة الحكومة في السودان بعد انقلاب البشير. في انتخابات 1996 حققت الجبهة القومية الاسلامية نجاحا ساحقا اوصل الترابي إلى رئاسة البرلمان, وتم الاندماج مع حزب المؤتمر الوطني. مفاجأة كانت المقاطعة مع البشير, وقد اوصلت الترابي إلى السجن في البدء ومن ثم إلى تأسيس حركات معارضة مختلفة. كارثية كانت

¹⁴احمد الريسوني, الحركة الاسلامية المغربية: صعود ام أفول, الدار البيضاء, الوان, 2004, ص230

تجربة تطبيق الشريعة كأساس لدولة اسلامية في الحكومة والتجارب الأخرى التي تلتها، وذلك أدى إلى تفاقم الصراعات مع الأقليات المسيحية في الجنوب والشعوب الأفريقية على حدودها.

في جميع هذه الحالات، على عكس ما حدث في مصر بين الخمسينات والتسعينات، لم تؤدي الخسارة ولا الربح في المجال السياسي إلى اختفاء حركة الإخوان بكاملها، بل إلى إعادة تنظيم فروع سياسية مختلفة، وهي تحت مسؤولية مدير من هنا وهناك. وهذا ليس فقط لإكمال مشوار الحزب، بل لأن خيار الحزب السياسي لم يكن أبدا ذات أهمية مصيرية في أفكار الجماعة. إن الحزب، بحكم طبيعته، هو موضوع جزئي، لا يتوافق مع الشعبوية الإسلامية: "إن الحركة الإسلامية لا ينبغي أن تكون ذريعة لتقسيم الشعب [..] وينبغي حتى التخلي عن مفهوم الحزب الإسلامي"¹⁵، كتب الغنوشي. ولذلك، فإن تحليل البرامج السياسية أو الخيارات والقرارات لبعض أعضاء الجماعة في البرلمان، والتي، تخلق منظمات سياسية من نوع معين في إطار المسؤولية الفردية، لم يمكننا أن نفهم تماما الطبيعة الحقيقية والتنظيمية للجماعة في ذلك البلد. كدليل على ذلك، لا يشارك القادة الروحيين والفعليين في هذه الأشكال التنظيمية.

15. كجلد الأفعى، يمكن لأي حزب التخلي بسهولة وبسرعة عن ميثاقه وأفكاره. إن السياسة بالنسبة للجماعة هي مجال التكتيك، وليست أبدا الاستراتيجية، والذي يتمثل في العلاقة مع الناس وبعدها الرمزي. إنها ليست مسألة تكتيك سياسي، بل غياب الشعبوية الإسلامية يفرض هذه الديناميكية. إن السياسة هي أداة صغيرة، لأن بالنسبة للجماعة لا توجد هناك قوة أو شرعية ممكن أن تصرف النظر عن الفضائل الدينية المطبقة والمحبة من قبل الشعب. يكفي النظر إلى نتائج الانتخابات المصرية في عامي 1984 و1987، وذلك عندما خضت الجماعة أولى خطواتها الملموسة نحو المؤسسات، اتحد فرعها السياسي أولا مع حزب الوفد الجديد وثم مع التحالف الإسلامي، مازجا الليبرالية، الوطنية والشريعة وفاز بـ 38 مقعدا في عام 1987. بالرغم من كونه تعبير عن حركة دينية في الخفاء، إن النواب المنتخبين من الجماعة، والتي ستصبح قوة المعارضة المصرية، لم يعارضوا المبادرات السياسية للولاية الثانية لمبارك، وذلك في محاولة لاستغلال الحركة التبشيرية للإخوان ورفع الحظر. تم الحفاظ على التوازن حتى عام 1993، عندما أصبح المستوى السياسي للحركة قوي لدرجة التدخل في السياسات الخارجية المصرية، مما أثار رد فعل النظام بقمعها. قامت القيادة بإعزل العمل السياسي في تلك المرحلة واحبطت أي محاولة لإعادة بناء الحزب في التسعينات. إن هذه القيادة الدينية نفسها هي التي تدعم اليوم التحالف السياسي للعدل والتحرير مع جزء من الجيش ولكن غدا، إذا فشل هذا التحالف، لن تتردد في الابتعاد عنه. إن محاولة التأثير على المجتمع من خلال الاقتراب من السلطة السياسية رأيناها في المغرب في التسعينات، عندما اصطف الجزء السياسي من الجماعة إلى جانب النظام الملكي في قضايا داخلية وخارجية (جبهة الصحراوي). لكن حتى في هذه الحالة كان الجزء

¹⁵ رشيد الغنوشي، الحركة الإسلامية: النقد الذاتي وإعادة النظر، في إبراهيم أبو الربيع، القارئ العربي المعاصر للإسلام السياسي، لندن، ص132

السياسي أداة, دون أي مخطط للسيطرة.

علاوة على ذلك, إن "الجبهة السياسية" تتكون دائما من عدد لا يحصى من النقابات العمالية, المهنية, الخيرية, والمالية وما اشبه ذلك, هدفها الأساسي هو أسلمة الشعب, ولها مسؤوليتها وخططها الفردية, وفي كثير من الأحيان تتنافس وتتحالف مع منظمات سياسية واجتماعية اخرى, لخلق جدليات معقدة جدا, لكل بلد على حدة, مرفقة بنضالات فردية من اجل النجاح, ومسائل العائلة والمجموعة, الخ. إن التنافس شرس في كثير من الأحيان, وإن حقيقة هذه التحليلات والقصاص تتناقض بوضوح مع من يتصور الإخوان ككتلة متجانسة تميل إلى السيطرة على المجتمع, على غرار النهج اللينيني أو الغرامشي.

16. ومن المثير للإهتمام ان نلاحظ انه حتى في المنظمات الإجتماعية, من النقابات إلى الاتحادات, تحاول الجماعات الاسلامية دائما الابتعاد عن الأضواء, بتعيين مسؤولين محايدين أو حتى اعضاء من حكومات أخرى, يمارس من خلالهم دورا اشرافيا من دون ضغط كبير. هذا الخيار بالابتعاد عند الأضواء ليس فقط تكتيكية. هو يشير إلى حالة الجماعة "الشمولية", التي لا تريد ان تكون ممثلة لجهة واحدة فقط, ولا غرس الاعلام(الانتصار), بل هدفها هو اعادة بناء تجارب موحدة, وطنية, وشعبية. وهذا أيضا خيار ايديولوجي. اعادة بناء الوحدة بشكل ما كان دائما الهدف التنظيمي للإخوان عند التعاطي مع مسائل خارجية, لأن هذا النوع من التوحيد هو ضمان للوصول إلى الأمة. الشعبوية, فإذا, بشكل ما تؤثر بشكل عميق على الحركة وخياراتها. ولكن هذه المسألة الايديولوجية, التي تشكل ركن اساسي في الشعبوية وبعض الخصائص التنظيمية للجماعات الاسلامية, من ناحية أخرى هي في صراع مستمر مع غيرها من العوامل, التي تمثل نموذج للمنظمات في مرحلة انتقالية, مثل تشكيل حكم الأقليات, القائمة على الأسرة و/أو المستوى الوطني, والتي تصبح محافظة وتغلق الباب على المجموعات المديرة. يليه صراعات واختلافات بين وداخل المنظمات. باختصار, وحتى في الإطار الاسلامي, مع اقتراب الجماعات الاسلامية من السياسة والتنظيمات التي تليها, تأخذ خصائص النخبة التنافسية, وفقا لنموذج النخب الذي وصفه ميشلس في علم الاجتماع. وهذا يصبح عاملا للتناقض بالنسبة لغالبية الحركة, التي تعتبر ان من مصالحها الاهم احياء القيم في الشعوب وتعتبر ان منطق الحكم هو "غير قانوني".

هنالك عامل جديد في هذه التجارب يجب التطرق اليه ومن الممكن ان يمثل تحولا جديا على المدى المتوسط وهو ضم عدد كبير من الناشطين والمتقنين. وهذه حقيقة تظهرها انتخابات 2011 و 2012 في مختلف البلدان العربية, مع بروز الاسلام السياسي, ان الوزن السياسي والشعبي الذي يتمتع به هؤلاء الاشخاص من أصحاب الشخصية السياسية القوية هو أقوى من هذا الذي يحظى به الزعماء الدينيين. حين يزيد الثقل السياسي, ينمو نموذج القيادة الناشطة, والتي توسخ ايديها بالسياسة على الرغم من كونها ذات ثقافة عالية ونزعة اصلاحية قوية في داخل الحركة. شخصيات مثل الريسوني أو الغنوشي, ناهيك عن اردوغان, في الوقت الحاضر, هم شخصيات معروفة ومحبوبة أكثر من قادة كالقرضاوي. ان الناشط الفكري والسياسي, الذي على ما يبدو تم نسيانه من المجتمع العربي-الاسلامي, في هذه المرحلة له دور بارز على حساب

الفقيه الديني، المتخصص في الاجتهاد والفقه. حتى في بلد متماسك وموحد كإيران، الصراع بين احمدي نجاد والقيادات الدينية، حول دور ولاية الفقيه، يبرز كدليل على هذه الخلافات.¹⁶

نتيجة لهذه الديناميكيات، اصبح الاخوان المسلمين حركة ريزوماتية على ما يبدو، تديرها النخب المرجعية على أساس ديني/فقهية واخر ناشط: حركة تعلمت تنظيميا كيفية التكيف مع محيطها ممارسة تكتيكات تناسبها ومبنية على المسؤولية الفردية للأفراد، الذين غالبا ليسوا منضمين لها رسميا. ما يميزها هو ليس نموذج ثابت للتنظيم، بل وجود علاقة ايديولوجية بين نخبها، بما في ذلك خلق انظمة عائلية نموذجية للمجتمعات العربية. ميزة اخرى هي ان القيادة الروحية، والتي ينظر اليها على انها من طلائع الدين، وهي التي ينبغي ان توظف القيم الحقيقية وحقيقة الشعب، في كثير من الأحيان لا تظهر حتى في تنظيمات عديدة تشغلها الحركة والتي تعمل في المجال العام في نمط مماثل اتخذه حزب الله. "اخفاء" القيادة والعدد الكبير من المنظمات الذين يعملون من خلالها هي من أهم السمات المميزة للمنظمة، والتي تمكننا من تعقبها ومعرفتها وتسمح لنفسها بالبقاء على قيد الحياة في حال القمع أو الهزيمة.

و. العامل الجغرافي : عولمة الحركة وأوروبا

17. بهذه المذكرة، ندخل في العامل الثالث الذي يوضح خصوصيات الإخوان المسلمين بالمقارنة مع حركات أخرى للإسلام السياسي وهي : بعدها العالمي. هذه المرحلة الجينية، اتخذ الإخوان المسلمون تعريفا دوليا، مظهرين قدرة تبشيرية فريدة من نوعها في التاريخ الإسلامي. حتى في الاربعينات كانوا منتشرين على نطاق واسع في منطقة تمتد من شبه القارة الهندية إلى شمال افريقيا. في الستينات والسبعينات وبسبب القمع، خصوصا في سوريا ومصر وبسبب احتلال فلسطين، هرب الكثير من الاخوان المسلمين، وخصوصا من الجيل الثالث إلى الخارج. وجد يوسف القرضاوي مأواها في الخليج مع غيره من الاخوان، وهو الملهم الأيديولوجي للإصلاح داخل الحركة. في يومنا هذا تحوي قطر عدد من المنظمات الثقافية والدينية والتعليمية، والتي تستعمل الأقمار الاصطناعية للتأثير على الرأي العام للعالم العربي الاسلامي عبر محطاتها الفضائية على مستوى العالم، غالبا مع اثار مدمرة. ولكن في الخليج خصوصا، وجد الاخوان الدعم المادي الضروري لاختراق الغرب وتنمية شبكاتها في الدول العربية. لقد تم خلق علاقة تستند على المصالح المتبادلة بين الجماعة والأنظمة الملكية الثيوقراطية الخليجية، والتي تستمر حتى يومنا هذا. ولكن الاخوان حافظوا على استقلاليتهم عبر الأنشطة والمنظمات التي تمويلها المملكة العربية السعودية والكويت وقطر، وقد ساهم هذا الدعم المادي والمعنوي المهم المقدم من هذه البلاد في تطور الجماعة بشكل كبير عالميا. وفقا للمحللين كعبدالله سالم، هنالك صدام كبير في الوقت الحالي بين الأنظمة الملكية الاسلامية والحركات الاصلاحية الاسلامية يمكن ان يؤدي في أي لحظة إلى

¹⁶ وقد تمت معالجة هذا الموضوع في الأونة الأخيرة من قبل راز زيميت، بين التحدي الداخلي والربيع العربي: صعود وسقوط النموذج الثوري الإيراني، مركز مير أميت للاستخبارات المعلومات الإيرانية، جليلات، 20 ديسمبر 2011

انفجار ثم تمرد مستغلين تناقض الشرعية السياسية للنظام الملكي. من الواضح ان هذا السيناريو ممكن ان يغير مصير العالم إذا حصل فعلا.

وصل القائد الكبير سعيد رمضان, صهر حسن البنا, يوسف ندى والسوري غالب هامة إلى أوروبا في الستينات, في عام 1962 اسست الجماعة البعثة الاسلامية في لندن, وهي عبارة عن مركز سيضم لاحقا واحد من اكثر الشخصيات اهمية في انتشار الجماعة في أوروبا, وهو السياسي الباكستاني خورشيد احمد, أحد اكبر المنظرين في الاقتصاد الاسلامي.

في أوروبا, بين لندن وباريس, عاشت في المنفى شخصيات فكرية بارزة كرشيد الغنوشي حتى عودته إلى وطنه كزعيم سياسي بعد ثورة الياسمين وكثير من المصلحين الذين تم ذكرهم في هذه الدراسة امضوا فترات طويلة في الجامعات الأوروبية والأمريكية مؤكدة اهمية المبادرات الانتقالية كمفاتيح للحوار العالمي.

في الستينات قامت مجموعة من الاكراد المنتمين للجماعة (جمال برزنجي, احمد توتونجي وهشام طالب) بتأسيس رابطة الطلاب المسلمين, والتي ستنشأ لاحقا جمعيات ثقافية ومهنية وجمعيات للدفاع عن الهوية الاسلامية, ومنها ال-ISNA, وجمعيات اقتصادية مثل NAIT (الجمعية الائتمانية الاسلامية في أمريكا الشمالية). في ولاية بنسلفانيا الأمريكية تم انشاء IIT (المعهد الدولي للفكر الاسلامي) في 1980 والذي اصبح, بعد انتقاله إلى واشنطن, بمثابة مركز ابحاث حقيقي للاخوان في الغرب (من بين مؤسسيه خالد إبراهيم الذي اصبح لاحقا نائب رئيس الوزراء الماليزي) وله مكاتبه في جميع القارات. تم تعيين راجي الفاروقي حتى اغتيل بشكل غامض في 1986 وهو عملاق من عمالقة الاصلاح الاسلامي وهو رائد في العلاقات الاسلامية-المسيحية.

وفقا لبيانات الاخوان فانهم يتواجدون في 80 بلدا, من سينج جانج الصينية إلى جنوب أمريكا, مع وصول آلاف الاعضاء إلى أوروبا والولايات المتحدة والخليج, يحاول الاخوان اعطاء الحياة لمنظمات عالمية مختلفة. ولكن على عكس ما يعتقد كثيرون من المحللين العالمين, ان المنظمة المؤسسة في عام 1982 لهذا الغرض لم تنجح أبدا, مؤكدة ما ذكر في الفصول السابقة عن حالة الاخوان الريزوماتية أو الجذرومية. كانت المنظمات التي يتم بناؤها في مختلف البلدان على أساس الافكار والاهداف والمنهجيات المشتركة من قبل البنا ترفض ان يسيطر عليها الاخوان المصريين أو القاعدة الأم في القاهرة, أو حتى العائلة الملكية السعودية التي تدر عليها الكثير من الأموال. محمد عاكف الذي كان القائد الأعلى حتى 2010 يصف الاخوان "حركة عالمية أعضاءها تتعاون فيما بينها في العالم على اساس الافكار الدينية المشتركة وانتشار الاسلام حتى ارشاد الانسانية"¹⁷.

بهذه الفلسفة اللامركزية الغير رسمية المعتمدة على المسؤولية الفردية, استطاع الاخوان خلق تحالف استراتيجي مع الخليج وبشكل خاص المملكة العربية السعودية وقطر والكويت. انها عملية لم تكن لتتحقق لو حافظ الاخوان على تفكيرهم الوطني في النظام السياسي. انطلاقا من شبكة كثيفة من العلاقات الشخصية والثقافية وأسفار عديدة وحتى من زيجات مرتبة تم تأسيس أول المنظمات الأوروبية للجماعة كالمجلس الاسلامي في أوروبا والمؤسسة الاسلامية في ليستر ومؤخرا FIOE الأوروبية.

¹⁷ ل. فيدينو، جماعة الاخوان المسلمين في الغرب، نيويورك، 2010، ص 65

قام سعيد رمضان, وهو صهر البنا, والحاصل على جواز سفر دبلوماسي من المملكة العربية السعودية, بالتعاون على تأسيس رابطة العالم المسلم وهي منظمة شبه حكومية سعودية لنشر الاسلام في العالم خالقا علاقات استراتيجية كبيرة مع العائلة الحاكمة وكانت نذيرا لفرص هائلة. في الثمانينات قام ندى, وهو حاصل على الجواز الايطالي, وهامة بتأسيس بنك التقوى في ايطاليا كتجربة والذي اصبح المحرك للكثير من الاعمال التجارية والمبادرات الثقافية للجماعة في الغرب حتى حضره في عام 2001 (بدون أي حكم ضده).

18. المصدر الاخر لهذه النشاطات والذي يتماشى معه هو السيطرة على قيادات المنظمات ذات التمثيل المسلم في الغرب مع تأسيس جمعية الأوقاف لبناء المساجد ودعم عدد كبير من المشاريع التجارية, على غرار الجماعة الاسلامية الأردنية.

مؤسسة الأوقاف هي مؤسسة نموذجية في الشريعة الاسلامية وهي من اكثر القوى تأثيرا للجماعة للسيطرة على المساجد حت ولو فقدوا السيطرة على الجمعية نفسها.

التحكم بالمساجد هي استراتيجية مهمة بالنسبة للاخوان في الغرب والشرق على حد سواء. دلالة على ذلك هي مجموعة الجماعة الاسلامية السورية في اتحاد الجاليات الإسلامية في إيطاليا حيث خسرت الانتخابات في 2010 ولكنها بقيت مسيطرة على الخطة المالية من خلال الأوقاف التي يتحكمون بها. في بعض الحالات تنتهي الخلافات الداخلية في المحاكم كما هي حالة مسجد شارع بادوفا. بينما في حالات اخرى يتم بواسطة توسط من قبل جهات فعلا وتتم بواسطة التقنيات التقليدية الاسلامية للتفاوض, كما في حالة التمويل الغير معتدل التي تمارسه منظمة بريشا مع منظمة فيشنزا.

ان أعضاء الجماعة يعملون بشكل مستمر ونشط على كسب قلوب وعواطف الجاليات المهاجرة. مما يسمح لهم بالتفاعل مع الحكومات وكذلك لتوسيع نشاطهم التبشيري. وخصوصا بعد 11 سبتمبر اعطيت هذه الجمعيات دور كبير عبر حملات لمكافحة الارهاب والتطرف, على الرغم من جدلياتها.

في اوروبا طبقت الجماعات الاسلامية افكارها المكتسبة من عشرات السنين في النضال في الشرق الأوسط خالقة منظمات مستقلة وهادفة إلى نشر الاسلام عبر التعليم والرعاية الاجتماعية المقدمة إلى الجاليات المهاجرة متغلبين على جميع الحواجز العرقية والوطنية فضلا عن تلك الايديولوجية. ولكن اوروبا, بدون علمهم وقتها, لعبة دورا أساسيا في تطويرها على الصعيد التنظيمي والثقافي. وقد سمح الاحتكاك مع الأنظمة الحكومية الأوروبية للقيادات الآتية من بلدان ذات أنظمة ديكتاتورية إلى اكتساب واكتشاف افكار جديدة من التمثيل الديموقراطي والحرية.

نظرا لمرونتها الحضارية, الممثلة في نماذج عديدة في الاجتهاد كما رأينا, بدا المغتربين في الجماعات الاسلامية بتطوير افكار جديدة, ان التعرض للمفاهيم الأوروبية هو ما أدى إلى خلق أفكار جديدة كقوة الاقليات للديمقراطية الاسلامية واحترام حقوق الانسان والذي كثيرا مايعتبره البعض بشكل خاطئ حفاظا على الهوية الاسلامية. وايضا في اوروبا هنالك أفكار عن احتمال التخلي عن الشريعة في قضايا الدساتير العلمانية.

19. اليوم ومع سقوط الأنظمة التي طردوا منها, رجع كثير من أعضاء الجماعات الاسلامية إلى بلده الام كما نرى في الحالتين الليبية والتونسية, حيث يقودون تحركات سياسية وحكومات. كل هذه الحالات والدلائل والخبرات المكتسبة صبت جميعا بدون شك في مصلحة ثورة الياسمين. عند عودتهم إلى بلادهم يقوم أعضاء الجماعات " الاوروبيين " بالانضمام إلى اخوانهم المحليين المختبئين في المساجد والمنظمات الاجتماعية والمجتمع المدني حاملين معهم الخبرات الاستراتيجية في عديد من المجالات وخصوصا شبكة كثيفة من العلاقات الدولية من الجامعات إلى الحكومات وحتى الشركات.

ليس هنالك هجرة من الجنوب إلى الشمال فقط بل ان الهجرة الان تتم من الشمال باتجاه الجنوب بتأثير اوروبي ولو بشكل بسيط وهو يمكن اعتباره اهم من السياسة الخارجية في بعد جوانبها.

هذا التقارب الحاصل في ليبيا على سبيل المثال بين الاخوان الذين عاشوا في الخارج والذين عاشوا النظام المخلوع سيشكل خطوة حاسمة للنظام السياسي الجديد.

من الممكن ان يكون له نتائج غير متوقعة, وهذا يعتمد على امكانية تأقلم الاخوان القادمين من الخارج وامكانية حصولهم على مراكز في الاطار المحلي ولكن سيعتمد اكثر على تطورهم السياسي والثقافي في الحكومة.

بالتأكيد هذه النخب هي عامل هام من اجل التوصل إلى اصلاح اسلامي متطور وبناء نماذج جديدة من الحكم والدولة.

ز. استنتاجات

20. ان العالم العربي يخضع الآن لمرحلة عميقة من التحول السياسي وارتقاء النخب تشبه تلك التي حصلت منذ حوالي خمسين عام وواصلت إلى الحكومة النظم القائمة حاليا بقالب علماني ووطني. ويرافق هذه العملية صراع على القيادة الاقليمية بين تركيا وايران والملكة العربية السعودية والتي هي جزء من صراع امبريالي أكبر بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا والصين, وهي القوى العظمى الثلاث الحقيقية الإمبريالية بعد سقوط الكارثي للقوة الأوروبية. من السهل توقع حدوث تغييرات جذرية في هذه الفترة القادمة في الأنظمة الديكتاتورية في شمال افريقيا والشرق الأوسط وحتى في الأنظمة الملكية الخليجية. محاور عدة كالمحور اللبناني-السوري-الايراني ستوضع تحت المجهر, وهذا لا يعني انه سيكون في مصلحة البلدان كالسعودية وباكستان اللتان كانتا دائما بالمرصاد للمحور الايراني. حتى السياسة التركية التي لها علاقتها الطيبة مع الاخوان تأثرت بالربيع العربي الذي اجبرها على اعادة النظر في تحالفاتها¹⁸ مع تداعيات تمتد من المتوسط إلى اسيا الوسطى. الغرب وعلى راسه الولايات المتحدة خسر (والبعض يقول تخلى عن) حلفاء كثر ومهمين في المنطقة ويجب عليه انشاء التحالفات الجديدة وقبل كل شيء استراتيجيات جديدة. باختصار الوضع يتحرك بقوة.

¹⁸ خلال المرحلة الأولى من الثورة في ليبيا كانت مواقف اردوغان المتأرجحة بين دورا داعما للنظام ووسيط بين النظام والمتمردين قد تسبب العديد من المظاهرات المستنكرة في جميع أنحاء برقة.

يبدو ان الآن هي لحظة الاسلام السياسي المعتدل في الساحة العربية. ان نهضة الاصلاح والصحة الاسلامية اعطت الحياة للعديد من الحركات في الوقت المعاصر. جزء كبير من هذه الحركات لديها روح اصلاحية حديثة وهي جاهزة للتحدي القادم وهو الحكومة. ان جماعة الاخوان يبدو وكأنها مجموعة من الحركات ذات جهوزية عالية من الناحية التنظيمية والايديولوجية لمواجهة تحديات الربيع العربي, حتى انهم عرفوا مراجعة ونقد انفسهم وتحديث منشأتهم على الصعيد الأيديولوجي قبل غيرهم واضعين الإصلاحيين من الجيل الثالث على راس منظماتهم. من السهل التوقع انهم سيلعبون دورا بارزا في التحول العربي, والذي ساهموا فيه في الدول المتمردة كتونس والمغرب ومصر وسوريا. حتى في الخليج من العراق إلى البحرين والسعودية والكويت وجودهم مهم وهم مراقبون باستمرار لضمان عدم وصولهم إلى الحكومات المحلية. لديهم علاقات قديمة مع النظام الايراني الحالي تعود إلى الاربعينات, وتلتف حول محور حزب الله-حماس, وهي مهددة من الثورة السورية حيث كان الاخوان المسؤولين عن الثورة في سوريا حليفة إيران وبدورها حليفة حزب الله في لبنان.

الجغرافيا السياسية هناك تنقسم, ناقلة محور اهتمام الاخوان إلى تركيا ومصر (مع العلم ان قائد الاخوان السوريين الجديد محمد الشقفة يعيش في تركيا) والذين لم يترددوا في الدعم الايراني لغاية زمن غير بعد, كبرهان على هشاشة النظريات التي تقول انهم يطالبون بسد الفجوة بين الشيعة والسنة.

21. في الحقيقة تمكن الاخوان من وضع اطار ايديولوجي مناسب للتغلب على الصراع الشيعي السني وهذا يضعهم في وضعية جديدة بالمقارنة مع حركات سنية ثورية نموذجية, كالسلفيين المسييرين بغير ارادتهم من قبل سياسات البلاد الثيوقراطية في الخليج وحلفائهم الذين يميلون إلى تفاقم هذا النزاع كما نرى بوضوح في العراق. ولكن ما يمثل الرادع للانضمام إلى الاصلاح الشيعي هو الجغرافيا السياسية والصراع بين البلدان: أن الشيعة في لبنان والعرق وايران يمكن ان يكون لديهم أسباب وجيهة لدعم الجماعة في الاصلاح ومكافحة النظام الملكي ولكنهم يجدون نفسهم وسط مواجهة خاصة بهم في سوريا حيث ان الصدام لا مفر منه بين العلويين والسنة السلفيين. على وقع هذا نرى صراع ايديولوجي مع الجغرافيا السياسية وهذا يمكن ان يفسر الانفتاح الكبير للولايات المتحدة على الربيع العربي. انفتاح لا يعطي الاهتمام الواجب لمخططات الاخوان المستقلة على المدى الطويل بالنسبة للتحالفات المؤقتة والحالات الطارئة الموجودة فيها, وخصوصا في ضوء التطورات المستقبلية في الخليج حيث ان مصالح الاخوان والأقليات الشيعية تقتضي بالكفاح ضد النظام الملكي والنفوذ الخارجي.

22. كانت بعض معاقل الاخوان موجودة في الخليج حتى وقت قليل مضى وكانت محمية من الحكومات الكويتية والقطرية والسعودية. استفادوا من الكرم الوهابي لتنمية شبكاتهم وانشاء تحالفات قوية. اظهروا قدرا كبيرا من المرونة والاهتمام بديناميكيات السياسة المحلية واستطاعوا الدخول في النسيج السياسي الاجتماعي في قطر ودعموا المقاومة الكويتية ضد نظام صدام حسين وفك جمعية" حدث" وهي الفرع الكويتي للاخوة منشئين حركة مستقلة عرفت بالمرابطون مخالفة

الفروع الفلسطينية والاردنية الداعمة لصدام¹⁹. تغلغوا بشكل كبير في وسائل الاعلام والجامعات حيث يمكن ان ينتظروا الاحداث يأخذوا القرارات علما بانهم لا يمكن ان يستبعدوا الصراع المباشر مع الحكومات المحلية. ويمكن لعملية الاصلاح ان تحمل الاخوان إلى صراع ايديولوجي مع النظام الملكي في الخليج. ان واقع الأنظمة الملكية المنظور اليها كأنها خارجة عن الدين بسبب عدم استنادها على الديموقراطية الاسلامية يمكن ان تؤدي إلى تفاقم المواجهة القاسية مع السلفيين في المنطقة بكاملها. اليوم يمكنك ان تقرأ بشفاافية ووضوح شكل الهيمنة للنظام الملكي في الخليج والذي يحاول استغلال السلفيين والصراعات القبلية والنزاعات الوطنية-الاقليمية لمحاربة الاخوان في المنطقة بأسرها. وهو مشروع صعب التحقيق, إذا استطاع الاخوان ان يستغلوا المحاسبة السياسية وخلق نماذج جديدة للحكم الاسلامي, نظرا لقوة الاصلاح الاسلامي في هذه المرحلة. من ناحية, مع ازدياد قوة الاخوان في شمال افريقيا سيزيد توسع اعمالها المنسقة والمشاركة عالميا وهي فكرة ايديولوجية سياسية للأمة. ومن ناحية اخرى ان فشل المشروع وعودة الاخوان إلى النماذج القديمة التبشيرية والدينية لا يعني ان السلفيين المتطرفين هم المستفيدين.

في الوقت نفسه نجد ان الاخوان لديهم قياديين كثيرين تلقوا تعليمهم في امريكا واوروبا ويعرفون مايريد الغرب منهم تماما ويعرفون كيفية التحدث مع الحكومات الغربية والبيت الابيض. في الخلاصة لديهم قدرة على التحالف تتمثل بـ 350 درجة. الدرجات العشر المتبقية تمثل اسرائيل. وهذا ما سيوصلهم إلى صدام مع الغرب وحلفائه في العالم العربي إذا لم تتغير السياسات الغربية الداعمة لاسرائيل. سياسة ممكن ان تدفع بشكل سريع نحو التقرب إلى الشيعة إذا حلت مشكلتهم مع ايران قريبا.

ان المسألة الفلسطينية ستكون ذات اهمية عظيمة في الحكومات حيث يتواجد الاخوان ويمكن ان تؤدي إلى تحالفات, ليست لصالحنا, غير مسبوقه في المنطقة, وبسبب هذا نرى كمية الدعم الاسرائيلي للأنظمة القديمة الفانية والتدخلات الأمريكية في المنطقة والمزيد من التصعيد في مضيق هرمز, وهي سياسات قد تبدو دون بعد نظر ولكنها في الحقيقة سياسات لا بديل لها. هي سياسات لزعة الاستمرار لانها تعتمد على " نموذج الدروز" وهو عبارة عن دعم الاقليات لمنع تأليف حكومات قوية. لا يمكن استبعاد احتمالية نشوب حروب اهلية في المنطقة الممتدة من الشرق القريب إلى سينج جانج السنية. ان النهج الشعبوي التي تتخذها الجماعة يشير إلى انهم سيتخذوا التحالفات المؤقتة²⁰ للتقرب إلى حكومات الدول مبتعدين عن السلفيين ومتجنبين أي حالة للهيمنة على السلطة وحتى الوصول إلى الابتعاد عن الاسماء والصيغ الاسلامية لأحزابهم في معاركهم الانتخابية.

22. اخيرا, وبالنسبة للطرف العسكري, وهم الطرف الثالث في هذا المجال, يتبين لنا في الاونة الأخيرة, كما في الحالة الليبية والمصرية, ان الاخوان لم يتخلوا ابدا عن فرعهم العسكري, ولا سيما في شكل كوادر عسكرية على مقربة من منظماتهم. في ليبيا اختاروا ان لا يدخلوا الحكومة

¹⁹ مركز مير أميت للاستخبارات والمعلومات الإرهابية, جماعة الاخوان المسلمين في العالم العربي والجاليات الإسلامية في أوروبا الغربية, يناير 2012, ص46-47.

²⁰ وقد نشرت مؤسسة زغي نتائج استطلاع ل 4000 شخص في المغرب, مصر, المملكة العربية السعودية ولبنان والأردن والإمارات العربية المتحدة, أشار إلى ان الولايات المتحدة لا يمكن أن تستفيد حتى من مساهمتها في الحركة, المناهضة لسوريا, المعهد الأمريكي العربي, المواقف العربية تجاه سوريا, 2011, نوفمبر 2011

المؤقتة للحفاظ على سيطرتهم على الجناح العسكري، كتيبة الشهداء"، هكذا وفي حال تكرار سيناريو الانقلابات العسكرية المستمرة في الدول العربية سيكون الاخوان جاهزين للتدخل بالادوات اللازمة لإعادة بسط الديمقراطية. ستكون مصر ساحة لاختبار هذا النوع من العمليات. ان استراتيجية الاخوان هي للمدى الطويل وقد لا تتفق مع توقعات التغيير للجماهير العربية التي لديها الفرصة ولاول مرة ان تظهر نفسها للعالم عبر القنوات الفضائية والعمولة.

ان اعلامهم وشعاراتهم هي ذات صيغة اصلاحية بدأوها منذ اكثر من عشرين عاما تتألف من: الديمقراطية، الدستور، حقوق الانسان واسلام معمم. في الحقيقة، وراء هذه الشعارات المطمئنة تختبئ اخطار جديدة للحكومات الغربية من قبل الشعبوية الاسلامية.

الاول هو ذات طبيعة داخلية للشعوب العربية في مرحلة التحول: هل ستقدر هذه النخب على الاستجابة بسرعة وبشكل ملائم لمطالب التطوير والتحديث والرفاهية والعدالة الاجتماعية وحرية المشاركة من قبل مختلف الشعوب؟ الخبرة لغاية الآن اعطتنا اجابة سلبية. وحقيقة ان النقاش القائم حول الاصلاح في الدولة لا يزال في مرحلة متأخرة جدا ليس مؤشرا ايجابيا. ان إعادة اكتشاف الهوية لا تكفي على المدى المتوسط لضمان هذه الظواهر الإصلاحية إذا لم تكن مصحوبة باصلاح حقيقي للدولة والإدارات. هذه مواضيع لا يجذبها الاخوان بينما هم مهتمون اكثر بالشعوب والأمة ويرون ان البلاد هي كيان عابر ببساطة و احيانا ينظرون اليها كنتيجة الاستعمار الغربي. ان فشل اي من القادة السياسيين لا يؤدي اوتوماتيكيا إلى تفكيك المنظمة بأكملها ولكن إلى الفصل بين بعض من النوى الداخلية، التبشيرية من ناحية والاكثر عنفا من ناحية أخرى. على أي حال سيظلوا يلعبون دورا في المنطقة لوقت طويل.

الثاني هو الخوف من كيفية تعامل هذه الجماعات مع العلاقة بين الدين والحكم. ان اجتهاد الاخوان لغاية الان جاء في الحالات التي لم تكن موجودة في القرآن والسنة النبوية الشريفة. وفقا لشعار، لا يجتهد معنى النص". في الحقيقة، ستولد هذه الطريقة تناقضات كثيرا على صعيد القانون والحكومة والعلاقة بين الاخلاق العامة والخاصة وجميع المسائل الأخلاقية التي توجه البلاد المسلمة في حالة التطور الشامل. ان نموذج البنوك الاسلامية تبين لنا وجود نفاق في الامور التقنية، ولكن فيما يتعلق بالمسائل المصيرية يبدو وكأن مكائد قوانين الاصلاح ستبوء بالفشل. الرجوع للشريعة، حتى في الصيغ الجيدة عند الجماعة، هو أمر خطير إذا لم يلجأوا إلى ادوات متقدمة من التفسير للنصوص والاجتهاد بإمكانها التغلب على التناقضات الموجودة في النصوص المكتوبة. علاوة على ذلك يمكن للاجتهاد أن يولد معارضة من اليمينيين والعلماء والائمة الذين عارضوا دائما الخطابات الإصلاحية. حتى في الاسلام هنالك، مجلس فاتيكانى ثاني " ولكن الفئة الدينية القدرة على تبرير مثل هذه العملية لا تبدو حاضرة ولا حتى مهمة لهذه القفزة النوعية. وهي عبارة عن عملية طويلة كما نرى في الحالة الايرانية.

23. فيما يتعلق بالعلاقة مع الغرب، من الواضح ان الاخوان كانت لهم جذور معادية للغرب من الولادة حتى يومنا هذا. ان معارضة الغرب اندمجت مع الوقت بمعارضات الإمبريالية وأخذت اوجه جديدة.

الجيل الثالث من الاصلاحيين يظهر استعدادا اكبر للحوار بشرط وجود مسافة ميثافيزيائية بين الاسلام والغرب المادي فرضا. ان صورة الغرب مشوهة بوضوح في فلسفة الاخوان، الذين لا

يستطيعون ان يتجاوزوا هذا النموذج النمطي الحالي. ان الجذور الروحية العميقة للغرب ونمط العلاقة بين الدين والدولة والحرية الشخصية بشكل خاص لا تجد صدى في التفكير الثقافي للاصلاحيين. ان الانفتاح على الحوار من قبل القادة الاصلاحيين سيكون مصحوبا بالافكار الاسلامية العمومية الناتجة عن الايديولوجية الشعبوية التي تشكل قلب نقاشات الجماعة. بالتحديد ستصطدم مع العلاقات الغربية باسرائيل. كل هذه ممكن ان تؤدي إلى سياسات خارجية ايديولوجية وعدوانية. وهو عمل مهم جدا لبلاد نعتمد عليها لتغطية حاجتنا من الطاقة. لا بد من استئناف الحوار بين الاديان وليس فقط على الصعيد الديموقراطي كما فعل الإصلاحى اسماعيل الفاروقى وكما هيا الحال في مختلف مؤسسات الجماعات الاسلامية في اوروبا.

يجب ان نفهم انه تحدي على الصعيد العالمى حيث, انه إلى جانب القضايا التقليدية السياسية الدبلوماسية يجب علينا ان نستعد لمواجهة ثقافية جدية, وهو شيء لم يطلب منا في عهد دعم الديكتاتوريات .

Basic Chronology about the Movement of Muslim Brotherhood

1924: Abolition of the Caliphate by the Turkish National Assembly.

1928: Foundation in Egypt of the Muslim Brotherhood by Hassan al-Banna.

1948: (November) The Egyptian Government announces the Brotherhood dissolution (December). The Egyptian Prime Minister Mahmud Fahmi Nokrashi is murdered by a member of the Muslim Brotherhood Abdel Meguid Ahamed Hassan. According to the Brotherhood, the members number half of a million in Egypt.

1949: (February) Al Banna is murdered by assassins in Cairo.

1950: The martial law ends and the banishment against the Brotherhood stops. The Movement is legalized again but only as religious organization.

1951: Hassan al- Hedaybi, seen as moderate, is elected leader of the Brotherhood. Sayyd Qutb became a member of the Movement coming back in Egypt after his staying in the USA.

1952: (January) Members of the Brotherhood get involved in the anti-England riots in Cairo. A golpe made with the Muslim Brotherhood support stops the English colonial regime in Egypt.

1954: (October) Failed attack against the President Gamal Abdul Nasser by a members of the Muslim Brotherhood, Abdul Munim Abdul Rauf, against the agreement between Egypt and England on Suez. There are persecutions and captures of the members of the Muslim Brotherhood (4.000 Arrested). Among those, Qutb is convicted and sentenced to 15 years of forced labor. The organization is now illegal and many members decide to go to Jordan, Lebanon, Saudi Arabia and Syria.

1964: The Egyptian President Nasser announces a general amnesty that includes many MB members and legalizes the association, releasing many prisoners.

1964 Sayyid Qutb publishes Milestones.

1966: 1000 Brothers are arrested, 365 convicted and Sayvid Qutb is hung by the Egyptian government together with other leaders of the Brotherhood.

1968 : President Nasser releases 1000 members of the MB.

1970: (September) The Egyptian President Nasser dies. Anwar Sadat becomes president of Egypt, starting a more tolerant political approach regarding MB. Many prisoners are released.

1975.. The General Assembly in Egypt gives the freedom back to all the MB still in prison.

1976: MB is kept out of the elections as a political party. Some of the members participate as individual candidates and obtain 15 seats.

1979: The MF strongly disagree with the signature of the peace agreement between Egypt and Israel.

1980: (June) Failed attack against Assad in Syria. The Syrian Parliament banishes the MB in Syria. The army organizes a repression that reaches its highest point during the Hama mass murder.

1981: (September) More than 2000 protesters are arrested in Egypt, mostly of them are part of the MB. (October) The Egyptian President Sadat is murdered by 4 members of the radical movement Jama'at Al Jihad founded by Faraj, a former member of the MB disappointed by Movement moderate approach.

1984: The Muslim Brotherhood is admitted again in Egypt as a religious association. It participates to the election in a coalition with the Neo WAFD party and it wins 8 seats.

1987: During the political elections, the MF wins 37 seats in a coalition with the liberal socialist Alliance of the Islam Labor.

1992: Victory in Algerian political elections of the Islamic Movements.

1992: A MB plan to take power in Egypt is found through the infiltration of institutions in the security apparatus.

1995: New phase of repression and captures between the MB members the day before the election for the National Assembly.

2000: The Brotherhood members have 17 seats after the elections.

2005: During the political elections in Egypt, the MB members win 88 seats in the Parliament, becoming the primary political party in the opposition.

2007: Constitutional amendment that forbids the constitution of political parties with religious characters, the capture of Khairat al-Shater, Vice General Guide of the Muslim Brotherhood.

2011: After Mubarak's fall, the Muslim Brotherhood registers a new party in Egypt (April 30th), the Party of Freedom and Justice, to participate to the political elections in 2011 and to the following parliamentary elections.

BIBLIOGRAPHY

Libri e riviste / Books and magazines

- ABD AL-FATTAH N., *أحالة الدينية في مصر* (Al Halah Ad-Diniyyah fi Misr), Cairo, 1998
- ABU RABI' I.M., *The Contemporary Arab Reader on Political Islam*, Alberta, 2010
- AL-BANNA H., *مجموعة رسائل* (Raccolta di Lettere), Il Cairo, s.d.
- ARMANDO Salvatore, *Islam and the Political Discourse of Modernity*, Reading, 1997
- BRYNJAR L., *The Society of the Muslim Brothers in Egypt: The Rise of an Islamic Movement. 1928-1942*, Reading, 1998
- AL-GHANNOUSHI R., JONES L. G., *Deficiencies in the Islamic Movement*, in Middle East Report no. 153, 1988
- CAMPANINI M., MEZRAM K., *I Fratelli Musulmani nel mondo contemporaneo*, Torino, 2010
- CAVALLI L., *Il capo carismatico: per una sociologia weberiana della leadership*, Bologna, 1981
- CAVALLI L., *Profilo di sociologia storica della leadership*, Firenze, 1984
- CAVALLI L., *Governo del leader e regime dei partiti*, Bologna, 1992
- DAVIS J. M., *Between Jihad and Salam: Profiles in Islam*, New York, 1997
- ESPOSITO J. E., *Islam and Politics*, Syracuse, 1998
- ESPOSITO J. E., *The Islamic Threat: Myth or Reality*, New York, 1999
- ESPOSITO J. E., VOLL J. O., *Islam and Democracy*, New York, 1996
- ESPOSITO J. E., VOLL J. O., *Makers of Contemporary Islam*, Oxford, 2011
- GHANIM I., *ألفكر السياسي للإمام حسن البنا* (Al-Fikr al-Siyasy li-l imam Hasan al-Banna), Cairo, 1992
- GRAEF B., SKIVGAARD-PETERSEN J., *The Global Mufti: The Phenomenon of Yusuf al-Qaradawi*, New York, 2009
- HERMET G., *Les populisme dans le monde. Une histoire sociologique. XIX-XX siecle*, Paris, 2001
- MENY Y., SUREL Y., *Populismo e democrazia*, Bologna, 2001
- MERKER N., *Filosofie del populismo*, Bari, 2009
- MICHELS R., *La sociologia del partito politico nella democrazia moderna*, Torino, 1912
- MITCHELL R. P., *The Society of the Muslim Brothers*, Oxford, 1993
- MUSALLM A., *From Secularism to Jihad: Sayyid Qutb and the Foundation of Radical Islamism*, Westport, 2005

PARETO V., *Trasformazioni della democrazia*, Roma, 1975

ROY O., *The Failure of Political Islam*, Cambridge, 1996

SADIK A., *Islamic Fundamentalist Reconsidered: A Critical Outline of Problems, Ideas, and Approaches. Part II*, in *South Asian Bulletin* no. 13(2), 1993

TAMIMI A., *Rachjd Ghannouchi: A Democrat Within Islamists*, New York, 2001

TARCHI M., *L'Italia populista. Dal qualunquismo ai girotondi*, Bologna, 2003

THE MEIR AMIT INTELLIGENCE AND TERRORISM INFORMATION CENTER, *The Muslim Brotherhood*, June, 2011

THE MEIR AMIT INTELLIGENCE AND TERRORISM INFORMATION CENTER, *The Muslim Brotherhood in the Arab World and Islamic Communities in Western Europe*, January 2012, pg. 46-47

VIDINO L., *The New Muslim Brotherhood in the West*, New York, 2010

WEBER M., *Wirtschaft und Gesellschaft*, Tuebingen, 1922

ZOLLNER H. E. B., *The Muslim Brotherhood. Hasan al-Hudaybi and Ideology*, New York, 2009

Articoli di giornale e siti internet / Newspapers and websites

BIANCHI S., *Ong, camion d'aiuti, uffici ovunque. La ragnatela dei Fratelli Musulmani*, in *Avvenire* del 10 aprile 2011

BIANCHI S., *Bengasi, inizia la lotta per l'egemonia islamica*, in *Avvenire* del 16 aprile 2011

BIANCHI S., *Gli islamisti alle porte*, in *Tempi* del 27 Aprile 2011

BIANCHI S., *Caccia al potere*, in *Tempi* del 4 maggio 2011

COKER M., SUMMER S., *Muslim Group Backs Secular Struggle*, *The Wall Street Journal*, 31 January 2011

SHENKER J., WHITAKER B., *The Muslim Brotherhood Uncovered*, *The Guardian*, 8 February 2011

www.ikhwanonline.com; www.ikhwanweb.com; www.hurryh.com